موقف المستشرقين اليهود من السيرة النبوية

كتاب "تاريخ اليهود" لإسرائيل ولفنسون، أنموذجاً.

إعداد

د.محمّد زهير عبد الله المحمّد

موقف المستشرقين اليهود من السيرة النبوية

كتاب "تاريخ اليهود" لإسرائيل ولفنسون، أنموذجاً.

د.محمد زهير عبدالله المحمد*

الملخص

تناول هذا البحث نقد كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لمؤلف يهودي اسمه إسرائيل ولفنسون، وقد حاز بهذا العمل على درجة الدكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتور طه حسين، والذي أوصى بطباعة الرسالة وأثنى عليها كثيرا، وكتاب ولفنسون مرجع في توثيق تاريخ اليهود إلا أن انحراف المؤلف في تعامله مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتزويره للحقائق، وعدم موضوعيته في التعامل مع النصوص، ومصادر السيرة، وظهور التعصب لليهودية على حساب الإسلام والنصرانية بشكل واضح جعله يفقد قيمته العلمية.

الكلمات الدالة:المستشرقون،تاريخ، اليهود، السيرة النبوية، ولفنسون

The position of Jewish orientalists from the prophet narration

Jews History by Israel Welvinson as a model

Dr. Mohammad Zuhair Abdullah Al Mohammad

Abstract

This study addressed the Jews History in the Arab countries since Al Jaheliyya and the early Islamic era. The book is written by a Jewish writer Israel Welvinson, and the writer was awarded the PhD degree under the supervision of dr.Taha Hussein, who recommended printing and publishing the dissertation with great acknowledgment by him. Welvinson's book is a reference in documenting the history of Jews, but his deviation when addressing the prophet's narration(Sirah), falsifying the facts, lack of objectivity when analyzing the texts, the sources of the Sirah, the apparent prejudice to Judaism on the expense of both Islam and Christianity negatively affected the scientific value of this book.

Keywords: Orientalists, History, Jews the prophet narration, Israel Welvinson

*أستاذ مشارك في الحديث النبوي الشريف وعلومه- رئيس قسم أصول الدين- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة اليرموك، إربد-الأردن.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمـــة

كثرت الكتابات في سيرة النبي المصطفى ﷺ قديماً وحديثاً، بأقلام واتجاهاتٍ مختلفةٍ، وكنت وقفت على كتابٍ لمستشرقٍ يهوديّ، وصفه أستاذهً الدكتور طه حسين بأبلغ عبارات الثناء لمستواه العلمي الجيد، وأيضا لِمَا كتبه في رسالته للدكتوراه التي اشرف عليها الدكتور طه حسين نفسه، بعنوان : "تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام".وهذا المستشرق هو إسرائيل ولفنسون، وهو أول طالبٍ يهودي يحصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بإشراف الدكتور طه حسين.

أهمية البحث:

١- الدراسة تعنى بنقد عمل علمي خاص بالسيرة النبوية، ليضاف ذلك إلى سلسلة دراسات عديدة حول السيرة النبوية.

٢- مما يعطي مكانة للبحث هو أنه يعنى بتقييم عمل علمي متقدم لأحد المستشرقين.

مشكلة البحث:

هذا الكتاب مليء بالمغالطات والأخطاء والتشويه للحقائق، واتهام النبي ﷺ وصحابته بالمصالح الشخصية، والتحامل على اليهود، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول المؤلف أن يبيّن بأساليبَ متعددةٍ دور اليهود في سرعة انتشار الإسلام، وأثرَهم الإيجابي في العرب والمسلمين،كما ركّز على بيان حسن أخلاقهم وتسامحهم، وأنّ ما ارتكبوه ضد المسلمين له ما يبرّره، وهذا يحتاج إلى توضيح ونقد.

وفي الحقيقة يمكن أن نعد ما جاء في الكتاب:

١.آراء إسرائيل ولفنسون؛ فهو المؤلف.

٢. آراء الدكتور طه حسين؛ فهو المشرف على الرسالة، وهو الذي قدم لكتابة بالمقدمة التي بالغ فيها بالثناء على ولفنسون، بل إنّ القارئ ليجزم بأنّ الفكر الذي أودعه ولفنسون في كتابه يشبه تماماً الفكر الذي أودعه د.طه حسين في كتبه، كما أنّ شخصية الدكتور طه حسين ظاهرة في صياغة عبارات الكتاب، في أغلبه، لا يخفى ذلك على ناظر، ويمكن أيضاً المقارنة مع ما كتبه الأستاذ أنور الجندي-رحمه الله- في كتابه:"طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام".

٣.كما أنّ الرسالة اطلع عليها الشيخ عبد الوهاب النجار كما جاء في الرسالة، ووافق عليها إلا في مواضع ذكر ولفنسون أنه خالفه فيها.

٤. آراء الصهيونية. فالآراء التي بثّها ولفنسون في كتابه وأيده الدكتور طه حسين فيها لا تختلف كثيرا عن آراء الصهيونية في الإسلام والنبي ﷺ ، ولا أقول إنّ كلّ فكرة في الكتاب تمثل الصهيونية، بل الذي أقوله إنّ هناك أفكارا كثيرة تعجب الصهيونية.

***وقد وجدت محمد رشيد رضا في كتابه :"محمد رسول الله" نقل من كتاب ولفنسون في سبعة مواضع من كتابه، لم ينتقده إلا في موضعين، مع أنّه أشار في مقدمته إلى أنّه رجع إلى كتب المستشرقين وعرض لشبهاتهم، وبيّن أنّه رد عليها بما يبطلها، وبالتالي قارئ كتاب محمد رشيد رضا سيخرج بنتيجة وهي أنّ ما كتبه ولفنسون صحيح غير ذلك الموضعين [1].**

<u>منهج البحث:</u>

اتبعت المنهج التحليلي، والمنهج النقدي:حيث قمت بتحليل النصوص الواردة في الكتاب مما له علاقة بالسيرة النبوية،مع نقدها.

<u>الدراسات السابقة:</u>

لم أجد دراسة واحدة قامت بنقد الكتاب، وتحقيق مسائل حرفها صاحب الكتاب بموافقة مشرفه ومناقشيه في رسالته، فجاءت هذه الدراسة لتوضح مدى التحريف وحجم الأخطاء الواردة في الكتاب، ولنطلع أيضا على طبيعة المنهج الذي سلكه في كتابه ، وكيفية وصوله إلى النتائج التي استخلصها من نصوص السيرة.

<u>حدود البحث:</u>

ستقتصر دراستي على تناول كتاب ولفنسون : "تاريخ اليهود"، فيما يتعلق بالجانب الذي يشتمل على سيرة النبي ﷺ ، من بداية الباب الخامس(صفحة ٩٢) إلى نهاية الباب التاسع(صفحة ١٨٦). والباب الخامس يبتدئ بالحديث عن مبعث النبي ﷺ، وينتهي الكتاب بالباب التاسع الذي يتضمن الحديث عن إجلاء اليهود من البلاد الحجازية، أي بانتهاء تاريخ اليهود في جزيرة العرب، راجيا منه سبحانه العون والتوفيق.

<u>خطة البحث:</u>

([1])رضا، محمد رشيد ، محمد رسول الله، دار الفكر العربي،١٩٩٨م ،ص٤.

المقدمة وتضمنت: أهمية البحث، ومشكلته،ومنهجه،والدراسات السابقة،وحدود البحث.

المطلب الأول: التعريف بالكتاب ومؤلفه ومقاصده من الكتاب.

المطلب الثاني: وقفات حول منهجه في البحث.

المطلب الثالث: موقفه من الرسول ﷺ وصحابته.

المطلب الرابع: منهجه في التعامل مع أخبار اليهود في السيرة.

المطلب الخامس: موقفه من الحرب على اليهود.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث

المطلب الأول

التعريف بالكتاب ومؤلفه ومقاصده من الكتاب

الفرع الأول:التعريف بالمؤلف.

** بين يدي الترجمة:

لا بدّ أن أشير إلى أنّني عندما وقفت على كتاب هذا المستشرق وقرأت ما فيه، بدءاً بمقدمة الدكتور طه حسين للكتاب، ثمّ لمحتويات الكتاب، ظننت أنّي سأجدُ ترجمةً وافية لهذا المستشرق، علماً بأنّ الدارسين لتاريخ العرب والمسلمين يشيرون إلى كتبه التي سأذكرها لاحقاً، وخاصة هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته، ولكن تفاجأت أنّي لم أجد أحداً ترجم له، وخاصة من عُني بالمستشرقين وألف في ذكرهم وحكاية أخبارهم، ومنهم: عبدالرحمن بدوي، ونجيب العقيقي، في موسوعتيهما عن المستشرقين، كما بحثت عن ترجمته في بعض المواقع المعنية بالاستشراق على شبكة"الانترنت" وغيرها، فلم أجد له ذكراً غير أنّه مستشرق يهودي[1].

وبقي الحال هكذا حتى وقفت-بحمد الله- على مقالٍ لكاتبٍ مصريٍ وهو الأستاذ رامي الجمل بعنوان: "إسرائيل ولفنسون :اليهودي التائه والمستشرق الأريب"[2]، ذكر أنّه لم يقف أيضاً على ترجمةٍ له في أيٍ من الكتب والموسوعات الاستشراقية والمعاجم المتخصصة في الدراسات اليهودية والعبرية، حتى "دائرة المعارف اليهودية" في طبعتها الثانية المنقحة المزيدة التي تقع في ٢٢ مجلداً من القطع الكبير، والصادرة عام ٢٠٠٦م، وبيّن أنّ مقاله هذا استفاده من بعض الإشارات والإحالات في عدد من الكتب والأبحاث التي ذكرها في هامش دراسته، ومنها مصادر أجنبية، وخلاصة ما ذكره في مقاله في المجلة يتعلق باسمه وولادته وبعض أخباره التي أثّرت في حياته، وبعض إنتاجه العلمي، مع تعليق عام على طبيعة شخصيته وتطورها فكرياً، ووصفه بالتيه،كما تحدّث عن موقفه من الإسلام، وعلاقته باليهودية، فهذه أبرز عناصر مقاله.

* أما عن ترجمته(٣): اسمه:إسرائيل ولفنسون"أبو ذؤيب" كما ظهر على غلاف كتابه "تاريخ اليهود" الذي ألفه في مصر، وكان في أصله رسالته للدكتوراه، ولاحظت وأنا أبحث عن ترجمته أنّ له اسماً آخر تسمى به

---

(1) انظر أيضا: أبو شعيشع، عبد المنعم صبحي، الاستشراق اليهودي،أسبابه،وأهدافه،وطرق مواجهته،مصر،دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨م.

(2) وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،سلطنة عمان،مجلة التسامح، العدد السادس والعشرون،ربيع ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) .

(3) إنّ كثيراً مما ذكرته في ترجمته استفدته من مقال إسرائيل ولفنسون:اليهودي التائه والمستشرق الأريب، مجلة التسامح.

وهو يزرائيل بن زئيف، وذكر رامي الجمل أن هذا ما كان يتسمى به في إسرائيل، كما ظهر له اسم آخر وهو في ألمانيا التي كان يعد فيها رسالته الثانية للدكتوراه عن كعب الأحبار، حيث كتب اسمه على رسالته: "**ولفنسون**" المستعرب الأورشليمي.

* ولادته **فكانت سنة ١٨٩٩م**، لأسرة يهودية اشكينازية من المهاجرين القدامى،ودرس في فلسطين، وتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية واليهودية. وكان أول طالب يهودي حصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية بإشراف الدكتور طه حسين، ونال درجة الدكتوراه الثانية من ألمانيا عن رسالته للدكتوراه "**كعب الأحبار**".

* مكانته العلمية: مؤرخ وباحث وأكاديمي، أشتُهر بمؤلفاته عن تاريخ اليهود في بلاد العرب واللغات السامية، وعدد من أعلام التراث العربي **والإسلامي**.

* أبرز مصنفاته: **صنف ولفنسون كتباً بلغاتٍ ثلاث**: العربية، والعبرية، والألمانية، بحكم إقامته في مصر وإسرائيل وألمانيا، ومن مصنفاته العربية:

١.تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، إصدارات لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،**١٩٢٧م**.

٢.تاريخ اللغات السامية، إصدارات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،**١٩٢٩م**.

٣.موسى بن ميمون، القاهرة إصدارات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،**١٩٣٦م**.

٤. كعب الأحبار، مطبعة الشرق التعاونية، القدس،**١٩٧٦م**.

ومن الملاحظ على مؤلفاته أنها تتعلق باليهود في بلاد العرب والمسلمين، أو يهود دخلوا في الإسلام.

الفرع الثاني: التعريف بالكتاب.

هذا الكتاب الذي نتناوله بالبحث كان موضوع رسالة إسرائيل ولفنسون أبو ذؤيب، التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه، من الجامعة المصرية، بإشراف الدكتور طه حسين، وكان ذلك في عام **١٩٢٧م. وعنوان الرسالة** : "تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر **الإسلام**"، وقد طبعت الرسالة في **كتاب** في القاهرة، **١٩٢٧م**، بإصدار لجنة التأليف والنشر، حيث وافقت على طبعه باعتباره عملاً قيماً يستحق النشر. وكان المؤلف قسم دراسته إلى طورين:**الطور الأول**: يشمل حوادث لبطون إسرائيلية بائدة في بلاد العرب. **وأما الطور الثاني**: فيتناول أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربية، ويقف الطور الأول عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، أما الطور الثاني فينتهي بإجلاء عمر بن الخطاب آخر الطوائف اليهودية من الجزيرة العربية، ولذا ستكون دراستي للطور الثاني المتعلق بسيرته ﷺ.

وأهمية الكتاب تكمن فيما أشار إليه الدكتور طه حسين في تقديمه للكتاب، وهو أنّه جاء بأشياء جديدة لم تذكر من قبل فيما يتعلق بالتاريخ اليهودي، كما أنّه كما يقول د.طه حسين وفّق إلى عرض مباحث المستشرقين حول تاريخ اليهود باللغة العربية.ولذا فإنّ دراسة هذا الكتاب من الأهمية بمكان لتكشف عن خطورة ما جاء فيه فيما يتعلق باليهود وعلاقتهم بالمسلمين.

الفرع الثالث:مقاصد دراسته:

حاولَ المؤلفُ في مقدمته للكتاب أنْ يبيّن ويركّزَ في ذهن القارئ ندرةَ المصادر حول تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، وذكر أنّه تعجب كيف حُرِمَت اللغةُ العربية مِن مِثل هذا المؤلف، مع أنّ اليهود لهم أثرٌ لا ينكر في الجزيرة العربية في ذلك العهد، وعزى السبب في عدم وجود كتاب فيه إلى جهل المؤرخين بالنتائج العظيمة التي تترتب على معرفة تاريخ اليهود، كما ذكر أنّ رسالته موجّهة إلى المفكرين، الذين يقصدون البحث المجرد عن العواطف الدينية والقومية [1].

وهو فعلا ما أظهره في مواضع في كتابه بين فيها أنّ بعض المؤرخين المسلمين – في رأيه- لم يتجردوا من عواطفهم الدينية؛ فانحازوا إلى جانب دون جانب، ولكن لا بُدّ هنا بأنّ نطرح سؤالاً مهمّاً: هل تقيّد ولفنسون بما ذكر؟ وهل تجرّد من عواطفه الدينية والقومية التي ادّعى أنّها منطلقه في البحث؟

وفّى المؤلف بما وعد من إظهار مكانة اليهود ودورهم في تاريخ العرب، وتأثيرهم فيه قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولكنه سلك ذلك بموضوعية أحياناً، وبغير موضوعية أحياناً كثيرة، وبدليل رآه صالحاً، وبغير دليل، وبشتّى الأساليب حاول أن يثبت مدى حسن العلاقة بين المسلمين واليهود في ذلك الوقت، وأنّ علاقتهم مع المسلمين أطيب من علاقة النصارى بهم، وأنّ اليهود أسهموا بشكل كبير في قيام الدولة الإسلامية، وأنّ الخراب لحق بها يوم أن أجلي اليهود عنها، وكان عادةً ما يستشهد ببعض المواقف، ويسعى جاهداً وبكل ما أوتي من قوة إلى تحقيق أهدافه التي ذكرها في كتابه.

ونحن نرى في كتابه التعصب الظاهر ليهوديته، ومن جهة أخرى نرى محاولة تقديم صورة ناصعة للعلاقة اليهودية الإسلامية في زمن النبي ﷺ في أول الأمر، على حساب الحقيقة والواقع، ولعلّه كان يسعى إلى تحويل ذلك إلى واقع من حيث إمكان التعايش الثقافي-ولا أقصد التعايش الواقعي- بين المسلم واليهودي، في ظلّ مجتمع واحد، كما كان يهدف إلى بيان مدى إسهام اليهود البالغ في انتشار الإسلام، وأنّ الفضل كلّ الفضل يرجع إليهم في ذلك، لكنّ المسلمين لم يُقدّروا لهم ذلك أبداً، بل انتهى ذلك بإخراجهم من جزيرة العرب، فهذا الهدف ظاهر جداً في كتابه، بل يكاد لا يجد نصّاً فيه ذكر لليهود إلا ويحوله

---

(1) تصدير المؤلف: صفحة: "و".

أو يستثمره لصالح اليهود، حتى جرائمهم التي فعلوها ضد النبي ﷺ والمسلمين نجده يبحث لهم عن المبررات في ذلك كله، فأين موضوعية الباحث، وما المصادر التي رجع إليها! هذا سنوضحه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

وقفات حول منهجه في البحث

الفرع الأول: المصادر التي يعتمدها

الناظر في مصادر دراسته يجدها تنوعت إلى عربية، وعبرية، وإنجليزية، وألمانية، وفرنسية. أما العربية فمصادره منها متنوعة، فاستعان أحيانا بالقرآن الكريم، وبصحيح الإمام البخاري، كما اخذ من طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، والأغاني للأصفهاني، وتاريخ الأمم للطبري، وتاريخ اليعقوبي وغيرها من كتب التاريخ، وكتب الأدب واللغة مما يعطينا فكرة أنّه رجع إلى مصادر كافية نوعاً ما لتوثيق مادة السيرة النبوية.

أما المراجع الأجنبية فكان كثير منها لمستشرقين أمثال مرجليوث ولامانس وغيرهما، ولذا نجده يستعين كثيراً بآراء المستشرقين في كتابه، وهذا ما دعا طه حسين ليقول في مقدمته للكتاب: "وإذا كان عالمنا الشاب قد وُفّق إلى الخير في هذا الكتاب الذي قدّمه إلى الجامعة المصرية، ونال به شهادة الدكتوراه، والذي أقدّمه أنا الآن إلى القرّاء سعيداً مغتبطاً فتوفيقه مضاعف؛ ذلك لأنّه وُفّق إلى تحقيق أشياء كثيرة لم تكن قد حقّقت من قبل، ووفق إلى عرض مباحث المستشرقين حول هذا الموضوع في اللغة العربية، ولم تكن عرضت من قبل. ووفق بعبارة موجزة إلى أن يبسط تاريخ اليهود في البلاد العربية قبل الإسلام، وأبان ظهوره بسطاً علمياً أدبياً لذيذاً ممتعاً في كتاب كانت اللغة العربية في حاجة إليه، فأظفرها بهذه الحاجة"[1].

وما دعا إليه الدكتور طه حسين فيه نظر من جعل هذا الكتاب مرجعاً مهماً من مراجع المكتبة العربية؛ فإنّ هذا المستشرق اعتمد في كثير من مادة كتابه على مصادر استشراقية غير موضوعية، تفيض تعصباً وحقداً على الإسلام. كما أنّه توجد أسباب أخرى تمنعنا أن نعتمد في توثيق معلوماتنا على مصادر استشراقية[2].

---

(1) مقدمة طه حسين، صفحة: "هـ".

(2) النملة، علي بن إبراهيم، أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٧، السنة ٧، ص٥١٩-٥٦٤.

الفرع الثاني: توثيقه للمعلومات

إن القارئ ليعجب كل العجب من رسالة علمية متقدمة تنقل نصوصاً خطيرةً وحساسةً تمس العقائد والأديان، دون توثيق لكثير منها. وقد يذكر اسم مؤلف الكتاب الذي ينقل منه أحياناً في متن رسالته فقط دون أن يشير إلى اسم كتابه، أو كيف حصل على معلوماته؟ وليس له منهج ثابت في التوثيق فتارة يوثق من كتب وتارة ينقل منها ولا يوثق. وأحياناً يذكر الجزء والصفحة، وأحيانا يكتفي بذكر الكتاب ومؤلفه كما نقل نصّاً عن ابن إسحاق ولم يوثقه بالصفحة[1] . وأحيانا ينقل كلام سمعه مشافهة دون أن يشير إلى التاريخ والمجلس الذي سمعه فيه، إلى غير ذلك مما لا يستطيع القارئ أن يتوثّق منه بسبب عدم إحالته أو توثيقه.

وهذا لا شك نقص ليس بيسير في دراسة علمية خطيرة، وخاصة إذا كان الكتاب الذي ينقل منه في عدة أجزاء مما يعسر على القارئ من التوثق من صدق ما نقل. كما أن هناك أخطاء عنده في الإحالة فيحيل إلى الأغاني ويوثق من سيرة ابن هشام[2].وينقل أحياناً نصاً لا تدري أين نهايته، كما نقل كلام عبد الوهاب النجار وذكر كلاما بعده فيه طول لا تدري أين نهايته[3]، ومما هو أعجب من ذلك أنه ينقل كلام عبد الوهاب النجار الذي سمعه منه، ويكون كلامه مأخوذاً من كتب السير فيكتفي بما قاله النجار دون أن يكلف نفسه عناء الرجوع إلى المصدر[4].مما يظهر مدى التساهل في توثيق قضايا خطيرة، حتى ينطلي ما أراده على القارئ، لكن هيهات هيهات أنْ نجعل قيمة علمية لأي نص لا نعرف مصدره.

الفرع الثالث: موقفه من بعض مصادر السيرة:

يرى المؤلف في كل ما لم يروه ابن هشام عن ابن إسحاق أنّه مشكوك فيه، كما يرى أن عدم وجود النصّ في مغازي الواقدي يشير إلى ضعف ثبوته[5].

فعندما نقل نصاً عن ابن هشام فيه أن الصحابة أشاروا على النبي ﷺ أن يستعين بيهود، فقال لهم: "لا حاجة لنا فيهم"[6]، نجده شكك فيه بحجة أن ابن

وقد بين الدكتور النملة الأسباب المقنعة التي تمنع من جعل أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات حول الإسلام والمسلمين، فليرجع إلى بحثه من يهتم بهذا الأمر فإنه بحث جيد.

(1) ولفنسون،إسرائيل أبو ذؤيب،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،لجنة التأليف والترجمة والنشر،مطبعة الاعتماد، مصر،١٩٢٧م، ص١١٩.

(2)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٦٢.

(3)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٧٦.

(4)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٠٨.

(5)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٣٠.

(6)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٣٢.

هشام لم يأخذه عن ابن إسحاق، وعزى ذلك إلى المستشرقين ثم قوى وجهة نظرهم.

وهذه المنهجية التي سلكها ولفنسون فيها من الغرابة ما فيها؛ فمن قال إن ما لم يقله الواقدي فهو غير معتمد، إنّ هذا مما يتعجب منه! **ولكن ولفنسون** متى شاء شكّك في النص حين لا يوافقه، وادّعى أنّ الواقدي لم يذكره ولذلك ردّه، ويا ليته أخذ بما في الواقدي وأراحنا من كثير من النصوص في غير مغازي الواقدي، وكذلك الأمر في ابن إسحاق، فمن قال أيضاً إنّ ما ينقله ابن هشام عن غير ابن إسحاق غير معتمد! ومع ذلك فابن هشام نقل النص الذي ذكره عن ابن إسحاق، ولا ندري كيف غفل عن ذلك. قال ابن هشام: "**وذكر** غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزهري أنّ الأنصار يوم أحد قالوا لرسول ﷺ : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم"[1].

والمتتبع لهذا الكتاب يجد ولفنسون يكثر من النقل عن المستشرقين، ويوافقهم في أغلب ما ينقل إلا في قول ينقص من قدر اليهود، أو يشكك في مواقفهم، وهو -في غير موضع- نقل عن بعض المستشرقين من النصارى ورد عليهم في أقوال لهم لا تُنقِص من شأن اليهود، لكنها **ترفع من شأن النصارى،** وفيها إشارة إلى تأثيرهم الايجابي في المسلمين، مما جعل موقفه سلبياً من تلك النقول، وغالباً ما كان ينقل عن المستشرقين ويقوي رأيهم بأدلّة من عنده.

---

(1)ابن هشام،السيرة النبوية،ج٤ص١٠..

المطلب الثالث

موقفه من الرسول ﷺ وصحابته

الفرع الأول: مغزى بحث المصنف الظروف التي بُعث فيها النبي ﷺ.

ابتدأ المؤلف حديثه عن بعثة النبي ﷺ بالحديث عن الظروف التي ولد ونشأ فيها النبي ﷺ، وقد بيّن أنّ هذا المنهج لا بدّ منه في بحث سيرة أيّ شخص، حتى لو كان نبياً، وإن كان رجال الدّين لا يرتضون ذلك، لكنّه يبرّر بحث هذه المسألة بأنّ رجال الدين أنفسهم يوافقون على أنّ نزول الوحي إنّما كان لظروف داخلية وخارجية استدعت نزوله، وأيضاً لوجود بواعث نفسية توافرت في الأنبياء دون غيرهم[1] .

وهذا يكشف عن مدى تشكيك هذا المؤلف بصدق نبوة محمد ﷺ دون أن يصرح، إذ يريد أن يشير إلى مدى تأثير الظروف عليه، وأنها ساهمت في تكوين شخصيته،وإظهار دعوته، دون أن يُكتفى فقط بالحديث عن اختيار الله تعالى له وتكليفه بالرسالة، مع أنّه استشهد بنصوص من القرآن تدل على ذكر محمد ﷺ في التوراة. وأياً كان قصد المؤلف، فإنه "يلفّ ويدور" ليصل إلى مسألة في نفسه، وهي أنّ الظروف التي قصدها في مقدمته هي أثر اليهود في تكوين بيئة مهّدت لقبول دعوته، وهي ما كان يحصل من توعّد اليهود للخزرج بأنّ المسيح المنتظر سيأتي ليقتل أعداء الشعب المختار"[2]، فكان ذلك ممّا ساهم -في نظره- في سرعة قبول الخزرج لدعوة الرسول ﷺ.

الفرع الثاني: التشكيك في نوايا الأوس والخزرج من حيث قبولهم الإسلام:

أشار المؤلف إلى ما أشارت إليه كتب السيرة من العداء والقتال بين الأوس والخزرج، وأنّهم كانوا يسمعون من اليهود أنّ المسيح المنتظر سيأتي ليتغلب على أعداء "الشعب المختار"!فلمّا عرض النبي ﷺ عليهم رسالته سارعوا إلى اعتناق الدين الجديد. ثم أشار المؤلف إلى أسباب أخرى دعتهم إلى قبول دعوة الرسول ﷺ ، وهي مقاصد سياسية، حيث كانت البطون الضعيفة ترمي إلى عقد محالفات مع النبي ﷺ للتغلب على أعدائها، ودلّل على ذلك بأنّ وفداً من الأوس قدم مكة يلتمسون الحلف من قريش على خصومهم الخزرج، فلقيهم النبي ﷺ وحاورهم ودعاهم إلى دعوته، فرفض رئيس الوفد، ثم عاد إلى يثرب، وكان هذا قبل بعاث، أما بعد بعاث فقدم وفد خزرجيّ يطلب النصرة من

([1]) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٢.
([2]) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٠٢ .

مكة على الأوس وحلفائهم اليهود، الذي قتلوا منهم ما قتلوا، فلقيهم النبي ﷺ ودعاهم إلى دينه، فاستجابوا وبايعوه.

ولكن المؤلف شكك في سبب دخول الخزرج في الإسلام أنْ يكونَ إيماناً بالإسلام، بل ذكر أنَّ الغاية التي كان يرمي إليها بنو الخزرج سياسية قبل كل شيء، وهي إيجاد قوة لمحاربة عدوهم الذي بالغ في قتلهم وإذلالهم، وهذا العدو هو بطون اليهود في يثرب[1]، كما احتمل أنَّ قريش كانت تحاول صد الأوس والخزرج عن دخول الإسلام، لكنَّهم رفضوا؛ لأنَّهم رأوا أنَّ مصالحهم السياسية والاقتصادية تقضي بالانضمام إليه[2].

ونحن لا ننكر أنَّ لليهود أثراً في التمهيد لقبول دعوة النَّبي ﷺ، ولكن هذا الأثر لم يكن يقصده اليهود، ولم يكونوا يسعون إليه، بل كانوا يسعون بخلافه، وهو أنَّهم كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بالنبي الذي سيأتي، وأنهم كانوا يطمعون أن يكون منهم، فلما ظهرت نبوته ﷺ سارع أولئك إلى قبول دعوته، لكن لا ينبغي أن نفصل بين هذا الذي ذكرناه وبين صدقهم في قبول دعوته، والذي برهن على ذلك ما رأيناه من إخلاصهم وتضحياتهم وحسن إسلامهم بعد الدخول في الإسلام.

وينبغي أيضا أن ننبه إلى أنَّ القادمين في البيعة الأولى والثانية لم يكونوا كلهم من الخزرج كما ذكر ولفنسون، بل كان في البيعة الأولى اثنان من الأوس وهما: أبو الهيثم بن التيهان والثاني عويم بن ساعدة، وهو جهل من المؤلف، ومما يدل على جهله أنَّه قال عن أبي الهيثم الأوسي: "وقال الزعيم الخزرجي أبو الهيثم للنبي ﷺ : إنَّ بيننا وبين الرجال حبالا وإنا لقاطعوها...الخ"[3]. ومما لا ينبغي أن يغيب عنا أنَّ عبارة الخزرج عندهم تعني الأنصار وهم الأوس والخزرج، ومن ذلك ما قاله العباس عمّ النبي ﷺ ليلة العقبة الكبرى: "يا معشر الخزرج -قال: وكانت العرب إنَّما يسمون هذا الحيّ من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها- إنَّ محمّداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ...الخ"[4]. وأما من حضر البيعة الثانية من الأوس بلغ أحد عشر رجلاً[5].

---

(1) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٠٣-١٠٥.
(2) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٠٦.
(3) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٠٤.
(4) ابن هشام،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت،ط١،١٤١١هـ، ج٢،ص٢٩٠.
(5) ابن حزم، علي بن أحمد، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم،تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف – مصر،ط١، ١٩٠٠م، ج١،ص١٧٩.

لقد أكثر ولفنسون من الاحتمالات في رسالته العلمية، وهذا يدل على أنه لا يستطيع أن يأتي بالدليل، كما لا يستطيع أن يقف مكتوف اليدين عند بعض النصوص دون أن يجعلها لصالح اليهود، أو دون أن يشكك في الدعوة وأصحابها، حتى احتمل أن الأوس والخزرج رأوا الانضمام إلى دعوة محمد ﷺ لأن مصالحهم السياسية والاقتصادية تقضي بالانضمام إليه[1].

الفرع الثالث: مجاملة النبي ﷺ لليهود في التشريع:

من الأمور التي استدل بها ولفنسون على مكانة اليهود عند النبي ﷺ وتقديره لهم: أنّه احل طعامهم، كما أحل التزوج من بناتهم، وشرع للمسلمين صيام أيام كانوا يصومونها-عاشوراء، ووثق ذلك من صحيح البخاري، وبيّن أنّ النبي إنما فعل ذلك ليؤلف بين قلوب المسلمين واليهود[2]،وهذه الفكرة لم تغب عن المؤلف لحظة في الكتاب، وهي أن النبي ﷺ في قلبه لليهود مكانة وتقدير، لولا تحريض أعدائهم -من الخزرج- النبي ﷺ عليهم. وهذه الأمور الذي ذكرها ولفنسون إنما هي أمور شرعها الله سبحانه وتعالى، ولكن ولفنسون قصرها على اليهود دون النّصارى، الذين طعن فيهم في غير محل في الكتاب، وشكك في مكانتهم الدينية وعلاقتهم بالمسلمين واليهود، ولذلك لم يشر ولفنسون إلى هذا الأمر لأنه لا يحبّه، ولأنّه لا يريد أنْ يصل إلى النتيجة التي يكرهها، وهي أن النبي ﷺ أيضا أراد أن يؤلف بين المسلمين والنصارى قياساً على رأي ولفنسون في اليهود.

الفرع الرابع:مبالغة المسلمين في أخبار الخندق:

نقل ولفنسون عن المستشرقين -كعادته في كل ما يوافق عليه- أن المؤرخين العرب بالغوا في أخبار الخندق وأدخلوا فيها الأساطير التي تسد على الباحث طريق استخلاص النتائج من الحوادث[3]. ولكنّه لم يأتِ بدليلٍ واحدٍ على هذه المبالغة، وبالتالي فقد هذا الكلام فائدته، وكأنّه يشكك في المعجزات التي حصلت للنبي ﷺ والبطولات التي أبداها أصحاب النبي ﷺ، وكل هذا تواتر وثبتت صحته، ونقلته كتب الحديث والسيرة، لكنه كعادته لا يريد إظهارها خشية أن تؤثر على وزن اليهود ووصفهم منه بالقوة والشجاعة، بل سرعان ما ذكر بعد ذلك قوة "الأحزاب" العظيمة من حيث العدد والعدة، ثمّ عزى هزيمتهم إلى أسباب معنوية.

الفرع الخامس: حقيقة خبر الصلح مع أهل غَطَفَان وتزويره:

مما يلحظ من المؤلف أنه ينظر في بعض الأخبار فيقتطع منها ما يؤيد فكرته ويترك ما لا يعينه في ذلك، وهذا ما حصل منه في خبر غطفان في الخندق، إذ بين أن النبي ﷺ أعطى غطفان ثلث ثمار المدينة، وتم بينه وبينهم

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٠٦.
(2) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٢٢.
(3) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٤٣.

الصلح، وكان هذا الاتفاق كما يراه ولفنسون سبب الهزيمة التامة لجيوش الأحزاب[١].

ويذكر ولفنسون أنّ ما نقله من أخبار الخندق يوافق عليه المستشرقون تماماً غير ما جاء في بعض المراجع العربية من أنّ سعد بن معاذ مزّق الصحيفة التي فيها الاتفاق مع قائِدَي غطفان، مُعللا ذلك بأنّ هذا الخبر يناقض الواقع؛ لأنّ الخلاف بين الأحزاب حصل بعد عقد الصلح مع غطفان لا قبله، هذا مع ما عُرف عن غطفان رغبتهم بالمشاركة مع الأحزاب في القتال لأجل ما وعدوهم به من إعطائهم ثمار خيبر لمدة سنة، فقبلوا عرض النبي ﷺ مقابل الثمار دون سفك قطرة دم واحدة. ثمّ نقل عن بعض المستشرقين حكاية عن الرومان تشبه ما حصل في صلح المسلمين مع غطفان وهي أنّ الجيوش عرضت عليهم دفع الأموال مقابل عدم مهاجمتهم، فقام رجل فخطب في الناس أنهم لا يشترون استقلال بلدهم بالأموال ، لكنّهم مع ذلك دفعوا المال ورجعت الجيوش، وهو يريد بهذا أنّ تمزيق سعد –رضي الله عنه- للصحيفة لم يؤثّر على إتمام الصلح مع غطفان.

لكن ما نقله ولفنسون من سيرة ابن هشام ناقص، وفيه تحريف، فالذي ورد هو:"...فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة، ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله أمراً تحبّه فنصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا"[٢].

فظهر أنّ النبي ﷺ لم يشهد على الصلح، وأنّه لم تقع العزيمة عليها، وأراد أن يراوضهم، بل إنّ النبي ﷺ وافق سعد بن معاذ على ما قال، وأذن له فيما صنع. يقول الدكتور البوطي معلقا على حادثة الصلح: "ما الحكمة ترى في استشارته عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه في أن يعرض صلحاً على غطفان، قوامه إعطاؤهم ثلث ثمار المدينة، على أن ينصرفوا عن تأييد قريش

---

(١) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص١٤٥.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ج٤،ص١٨٠ .

ومن معهم، ويرجعوا عن حرب المسلمين". ثم ذكر الحكمة فقال: "فهي أن النبي ﷺ كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه الصادقون من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه، رغم هذا الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب ما طلعت به بنو قريظة في الوقت نفسه من نقض العهود والمواثيق، وقد كان من عادته ﷺ -كما رأيت- أنه لم يكن يحب أن يسوق أصحابه إلى الحرب، أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة كافية لخوضها، أو لا يؤمنون بجدواها ، وقد كان هذا من أبرز أساليبه التربوية ﷺ لأصحابه ، فمن أجل ذلك عرض على أصحابه هذا الرأي ، وأنبأهم أنه ليس تبليغاً من الله تعالى ، وإنما هو شيء يبديه لهم كي يكسر عنهم شوكة المشركين، إذا كانوا لا يجدون في أنفسهم طاقة على مقابلتهم"(١).

الفرع السادس: تفسير سبب زواجه ﷺ من بنت حيي بن أخطب اليهودي.

يرى ولفنسون أن النبي ﷺ في زواجه من بنت حيي بن أخطب يكون "قد اقتفى أثر الفاتحين العظماء حيث كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التي كانوا يفتحونها ليخففوا من مصابهم ويحفظوا من كرامتهم"(٢). واستدل ولفنسون بما ورد في حديث البخاري:"صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا. قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا"(٣).

ولكن للعلماء رأي آخر حيث قال ابن حجر: "فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدِحْيَةَ لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها، لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاص النبي ﷺ بها، فإن في ذلك رضا الجميع"(٤).

وأقول أيضا لا شك أنّ النبي ﷺ قصد ذلك، وإلا فإنّ النبي ﷺ يستطيع أن يتزوج أجمل النساء، وهو من يطمع بالقرب منه، كما لا شك أيضا أنه ﷺ بزواجه منها له حكمة سياسية لا تخفى، كما له في باقي النساء حكم أخرى، ترفع من درجته ﷺ عن باقي البشر.

---

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، بيروت- دمشق، دار الفكر المعاصر-دار الفكر، ط١١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص٢٢١.

(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٧٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد أبو الفضل ورفاقه، مكة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٧٧هـ، كتاب الصلاة ، باب ما يذكر في الفخذ، حديث: ٣٦٧.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة -بيروت ، ١٣٧٩هـ، ج٧، ص٤٧٠.

الفرع السابع:التشكيك في أحاديث إخراج اليهود من جزيرة العرب وأحاديث السبت.

حاول ولفنسون أن يبين أنّ النّبي ﷺ اتخذ موقفاً غاضباً من بني النضير بسبب عدم اشتراكهم في غزوة أحد، وكان ولفنسون نقل عن Leszynsky أنّ سبب عدم اشتراكهم في غزوة أحد هو وقوعها في يوم السبت، وهذا ترك في نفس النبي ﷺ أثراً سيئاً نحو يوم السبت بوجه عام. وذكر أنّ ما جاء من أنّ يوم السبت يوم عبوس وغدر يرجع إلى ذلك، وأنّ جميع الأحاديث التي من هذا النوع ترجع إلى حادثة تاريخية. ولكن ولفنسون عقب برأي الأستاذ عبد الوهاب النجار أنّ ما ذكره من أنّ يوم السبت يوم عبوس وغدر ليس بحديث، وإنّما من كلام الناس، وأنّ بعض الناس يتشاءم به، كما أنّ بعض الناس يتيمن به ويتشاءم بغيره(1) .

فكفانا النّجّار مؤونة الرّد عليه هنا، وكنا نتمنى منه أيضا أن يعلّم تلميذه أنّ النبي ﷺ لا يفعل مثل ذلك، فنبوته وأخلاقه لا يسمحان له بذلك أبداً،وحاشاه أن يفعل، ولا يخفى على أحد أن النبي ﷺ رفض عروضاً كثيرة من الملك والجاه والمال ليتخلى عن دينه ومبادئه، لكنّه رفض بحزم ، وعلمنا من يومها أنّ الله تعالى تعبدنا بالوسائل كما تعبدنا بالغايات.فقد ذكرت كتب السيرة أن عتبة عرض عليه عرضاً فقال:"أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشرا.فقال رسول الله ﷺ :أفرغت؟ قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ : (حم.تنزيل من الرحمن الرحيم...) حتى بلغ: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود).فصلت: ١-١٣.فقال عتبة :حسبك ما عندك غير هذا؟قال:لا"(2).

ومن جهة أخرى فإنّ ولفنسون –كعادته- سلك مسلكاً غير مباشر في الطعن في بعض الأحاديث التي لا يرتضيها لليهود، بحيث لم يستطع أن يطعن فيها مباشرة، وإنّما نسب التشكيك فيها إلى غيره من المستشرقين، كما صنع في أحاديث السبت، نسب التشكيك فيها لا إلى نفسه
-مع انه يعجبه ذلك-، وإنما نسبه إلى المستشرقين.

وهذا المسلك سلكه أيضا في التشكيك في أحاديث إخراج اليهود من جزيرة العرب، حيث نسب إلى المستشرق Leszynsky أيضاً التشكيك في أحاديث إخراج اليهود من جزيرة العرب كحديث:"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب..." ،وحديث: " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"...

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٦.
(2) والحديث فيه الأجلح الكندي مختلف فيه، والأقرب فيه أنه حسن. العلي،إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس،ط٢،١٤١٦هـ-١٩٩٦م،ص٦٣.

وحديث:" أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب...الخ"(١).
ونسب إليه أنّ هذه الأحاديث قيلت بعد وفاة الرسول ﷺ لأغراض خاصة ولم ينقل ولفنسون عنه ما ادّعاه من الأغراض الخاصة، ولكنّه نقل عنه أنه يقول عن المسلمين إنّهم "لا يعولون على الأحاديث إلا إذا كانت صحيحة، ولهم في قبولها ترتيب خاص،فأهمها:أحاديث البخاري، ثم أحاديث مسلم، وفي الدرجة الثالثة باقي الكتب الستة.

وهذا الذي نقله موافقاً عليه عن ذلك المستشرق فيه من التزوير والتحريف وسوء الفهم. فأمّا ما قاله إنّها قيلت بعد وفاة النبي ﷺ فغير صحيح، بل ثبت بعضها عندنا بأقوى الأسانيد، وروتها كتب السنن وتلقتها الأمة بالقبول، ولكنّه شكّك فيها حسب هواه. فالحديث الأول الذي ذكره قد أخرجه الشيخان عن النبي ﷺ أنّه :"وأوصى عند موته بثلاث: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ...الخ(٢).وهناك حديث آخر أخرجه مسلم وفات المستشرق أن يذكره وهو ما رواه عمر بن الخطاب ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "لأخرجن اليهود ، والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما"(٣). وأما حديث أخرجوا اليهود والنصارى، فرواه البزار(٤)، وقال الشيخ الألباني عنه في صحيح الجامع الصغير : "صحيح"(٥). وأما الحديث الثالث: "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب..."أخرجه احمد والدارمي وغيرهما،وفي بعض طرقه إسناده حسن. واستوعب تخريجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة(٦).

وأما الأمر الآخر الذي ذكره ولفنسون في الترتيب،فقد قاله ابن الصلاح، لكنه لم يقصد ما ذكره ذلك المستشرق، بل قصد تقسيم مراتب الصحيح على حسب المصنفات، وهذا يظهر عند التعارض، قال ابن الصلاح: فقال: "وإذا انتهى الأمر في معرفة الصحيح إلى ما خرّجه الأئمة في تصانيفهم الكافلة ببيان ذلك -كما سبق ذكره- فالحاجة ماسّةٌ إلى التنبيه على أقسامه باعتبار ذلك. فأولها:صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعاً.الثاني:صحيح انفرد به البخاري

---

(١) سيأتي تخريج الأحاديث في الصفحة التالية.
(٢)صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير،باب:هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ؟ ، ح: ٣٩٠٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،١٣٧٤هـ ، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه،ح: ٣١٧٤.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود،ح: ٣٤٠٠.
(٤) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار"مسند البزار"، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ ج١، ص٣٤٩.
(٥)حديث رقم : ٢٣٢ في صحيح الجامع الصغير .
(٦) الألباني، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها،الرياض،مكتبة المعارف،ط١، ١٩٩٥م، ج٣ص ١٢٤ .

أي عن مسلم. **الثالث**:صحيح انفرد به مسلم أي عن البخاري. **الرابع**:صحيح على شرطهما لم يخرجاه.الخامس:صحيح على شرط البخاري لم يخرجه. **السادس**:صحيح على شرط مسلم لم يخرجه. **السابع**:صحيح عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما" [(١)].

لكن كلام ابن الصلاح كلامٌ نظري لا يطبق وتقسيمه لا يطّرد دائماً، فكما **قال السخاوي**: "وقد يعرضُ للمَفُوقِ ما يجعله فائقاً، كأن يتفق مجيء ما انفرد به مسلم مِن طرق يبلغ بها التواتر، أو الشهرة القوية، ويوافقه على تخريجه مشترِطُو الصحة، فهذا أقوى مما انفرد به البخاري مع اتحاد مَخْرَجِه" [(٢)].

وتبقى بعد هذا كله مسألة تتعلق بتفسير إخراج عمر لليهود من جزيرة العرب، حيث لما ضعف ولفنسون تلك الأحاديث عن النبي ﷺ لجأ إلى تعليل إجلاء اليهود من قبل عمر، فنقل لنا أولا رواية ابن إسحاق التي تشير إلى سبب إخراج عمر لليهود وهي اعتداؤهم على ابن عمر ومن قبله الرجل الأنصاري،وكان من عادة ولفنسون أنه يثق إلى حد ما بروايات ابن إسحاق، ولم يكن يقبل من ابن هشام إلا عن ابن إسحاق، ولكنه هنا لم يفعل لتعارض هذه الرواية مع رواية لابن سعد نقلها ولفنسون وهي قوله: "فلما صارت الأموال في يد النبي وأصحابه لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض فدفعها النبي إلى اليهود يعملونها على نصف ما يخرج منها فلم يزالوا على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وكثر في يد المسلمين العمال وقووا على عمل الأرض فأجلى عمر اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين". **وبالتالي** خلص ولفنسون إلى أنّ كثرة الأيدي العاملة من الأسرى الذين كثروا عند العرب بعد الفتوحات، وكانوا ذوي خبرة بالزراعة كيهود خيبر.كما يرى المؤلف سبباً آخر وهو أن يهود خيبر كانوا يدفعون نصف حاصلات الأرض فقط، فآثر المسلمون أن يكون لهم كل هذه الحاصلات ليتمكنوا من تموين أسراهم، وليوجدوا للأسرى عملا.وهذه نتيجة خاطئة آثمة لمقدمة خاطئة آثمة **فنحن لم** نسلّم بالمقدمة التي ذكرها حتى نسلم بهذه النتيجة التي ذكرها بتفسير إجلاء اليهود من قبل عمر؛ لأنه صح عن النبي أنّه أمر بإخراجهم إلا من كان له عهد،كأهل خيبر.فلما فعلوا فعلتهم أخرجهم عمر –رضي الله عنه-. **ثم لا بدّ من سؤال ولفنسون:لماذا تستغرب أحاديث** إخراج اليهود من جزيرة العرب؟ وأنت تعلم كل العلم بل ذكرت في كتابك نقلا عن أصحاب المغازي والسير أن النبي ﷺ أجلى بني قينقاع وبني النضير، وحكم على بني قريظة ما حكم من قتل الرجال وسبي النساء لخيانتهم عهودهم مع النبي ﷺ ؟ فما الجديد عليك في هذا

---

(١)ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر،دمشق، دار الفكر،١٩٨٦م،ص٢٨ .

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (توفي ٩٠٢هـ) ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تعليق صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، د.ط ،ج١، ص٥٧. .

الموضوع؟ هل تريد أن تبين لنا أن من أخرجهم النبي ﷺ من اليهود إنما كان لظروف معينة! وأما باقي اليهود فلا يجب أن يخرجوا لعدم وجود ما يقتضي إخراجهم؟ إذا كنت تستشكل هذه الأحاديث فقد استشكلها أناس قبلوا فسألوا أهل الحديث فأجابوهم إنما شفاء العي السؤال لا الإنكار يا ولفنسون!

فقد قال ابن بطال: "كان لا يتقدم في شيء إلا بوحي الله، وكان يرجو أن يحقق الله رغبته في إبعاده اليهود عن جواره فقال ليهود خيبر: (أقركم ما أقركم الله)، منتظر للقضاء فيهم، فلم يُوحَ إليه في ذلك بشيء إلى أن حضرته الوفاة، فأوحى إليه فيه فقال: (لا يبقين دينان بأرض العرب) فأوصى بذلك عند موته، فلما كان في خلافة عمر وعدوا على ابنه وفدعوه فَحَصَ عن قول النبي فيهم، فَأُخْبِرَ أن نبي الله أوصى عند موته بإخراجهم من جزيرة العرب فقال: من كان عنده عهد من رسول الله فليأت به، وإلا فإني مجليكم. فأجلاهم. قال المهلب: وإنما أمر بإخراجهم -والله أعلم- خوف التدليس منهم، وأنهم متى ناوؤا عدوا قويا صاروا معه كما فعلوا بالنبي يوم الأحزاب"[1].وهذا كله لا ينفي أن النبي ﷺ أبقى أهل خيبر للحاجة إليهم، فقد كانوا أهل الأرض وأعلم بها، والمسلمون في شغل عنها، فأقرّهم على ذلك ما أقرّهم الله سبحانه، فلما اقترب اجله أوحى الله إليه بإخراجهم.

الفرع الثامن: اقتطاع الأخبار لصالح اليهود: وهذا في كتابه في مواضع، وسبق ذكر شيء من هذا في الفرع الخامس من المطلب الثالث فيما يتعلق بأخبار الصلح مع غطفان، ومن ذلك أيضاً أنه ذكر أن المسلمين لم يكونوا يقتلون النساء والأطفال في الحروب غير غزوة بني قريظة فإنّهم قتلوا امرأة، ولكن ولفنسون تعمد إخفاء جرمها التي فعلته، وهي أنها علمت أن المسلمين لا يقتلون النساء بل يَسْبُونَهُنّ وأن زوجها كان يكره أن تسبى، فحثها أن تُلقي رحى فتقتل من تقتل منهم انتقاماً له، وطمأنها أن محمداً ﷺ لا يقتل النساء، وإنما أمرها بذلك لتُقتل لكراهته أن تُسبى، فألقت صخرة عن حائط كان يستند إليه عدد من المسلمين، فأصابت الصخرة خلاد بن سويد فقتلته، فقتلها النبي ﷺ بالمسلم[2].

---

(1) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف البكري، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد ط٢، ١٤٢٣هـ ج٥، ٣٤٢ .

(2) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت-عالم الكتب، ص٥١٧.

المطلب الرابع

منهجه في التعامل مع أخبار اليهود في السيرة

الفرع الأول: بيانه تأثير اليهود البالغ في حياة العرب.

إن كان المؤلف قد جعل عنوان كتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب، فإن كتابه ينطق بغير هذا العنوان، خاصة في نصفه الثاني المتعلق بالسيرة النبوية، ولو سمّاه: تأثير اليهود في بلاد العرب لما أبعد، طبعاً كما يراه ولفنسون. فإنا وجدناه سخّر كل كلمة في كتابة ليصل إلى هذا المعنى، حيث بدأ بالحديث عن تأثيرهم قبل بعثة النبي ﷺ وبعد بعثته حتى آخر كلمة في كتابه كان يتحدث فيها عن الآثار السيئة التي ترتبت على إجلاء اليهود من الجزيرة على العرب والمسلمين.

والمسألة التي ركّز المؤلف عليها كثيراً هي تأثير اليهود في بعثة النبي ﷺ ، فكان السؤال الذي انطلق منه: هل اتصل النبي ﷺ قبل هجرته باليهود؟ وإجابته عن هذا السؤال طويلة لكنه قصد بسؤاله هذا أن يتحدث عن الاتصالات بين اليهود وبين النبي ﷺ والمسلمين.

والأسلوب الذي سلكه ولفنسون في الجواب عن السؤال الذي طرحه أسلوب خطير، يشتمل على الانتقائية، وسوء تأويل للنصوص، كما أن بعض ما أورده يقوم على الاحتمالات، وأيضا يقوم على التضخيم، وحتى يتضح ذلك نورد بعضاً من كلامه:

أولا: ذكر أن لليهود تجارة في مكة، كما أن أهل مكة كان يستعيرون حلي آل أبي الحقيق من خيبر للزينة في الأعراس. وهذا الكلام استخلص معناه مما أورده الواقدي في مغازيه ونصه: "فسأل رسول الله ﷺ كِنانَةَ بْنَ أَبي الْحُقَيْقِ عن كَنْزِ آلِ أَبي الْحُقَيْقِ، وَحُلِيّ مِنْ حُلِيّهِمْ كان يكونُ فِي مَسْكِ الْجَمَلِ، كان أسراهم يعرف به، وكان العرس يكون بمكة فيقدم عليهم، فيستعار ذلك الْحُلِيّ الشهر، فيكون فيهم، وكان ذلك الْحُلِيّ يكون عند الأكابر فالأكابر من آل أبي الْحُقَيْقِ"[1].

فالنص يخبر بأنّ الاتصال كان بين بعض العرب من المشركين في مكة وبين آل أبي الحقيق في خيبر، ولا علاقة للمسلمين بهذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، ولذا فإن طريقة البحث التي سلكها هنا طريق مُوهِمَة لا توصل إلى الحقيقة، فالعرب كان لهم علاقة مع اليهود وغير اليهود، وبعضها يقوم على حق، وبعضها ليس كذلك، وأما الإسلام فليس له علاقة ولا دور في هذا، فكيف يذكر هذا في سياق الحديث عن رسالة النبي ﷺ واتصاله باليهود!

---

(1) الواقدي، المغازي، ج2ص671.

ثانيا: رثاء كعب بن الأشرف قتلى بدر: ذكر المؤلف في سياق التمهيد عن علاقة اليهود بالنبي ﷺ **رثاء كعب بن الأشرف لقتلى بدر**[1].

وإيضاحا للحقيقة نقول إنّ ذلك الرثاء منه كان لقتلى بدر من المشركين وحزنه عليهم، وليس لقتلى المسلمين.

"**قال ابن إسحاق:** وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى العالية، بشيرين بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين، بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين. كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري، وعبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح ابن أبي أمامة بن سهل، كل قد حدثني بعض حديثه، **قالوا:** قال كعب بن الأشرف وكان رجلا من طيىء ثم أحد بني نبهان وكانت أمه من بني النضير، -حين بلغه من الخبر- أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان -يعني زيدا وعبد الله بن رواحة-، فهؤلاء أشراف **العرب وملوك الناس.** والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها"[2].

فكلامه تخرج منه رائحة خبيثة، وإلا فما القصد أن يؤتى به في سياق الحديث عن اتصال النبيﷺ باليهود؟ هذا خلط بين اتصالهم بالمشركين وبين اتصالهم بالنبي ﷺ. وهذا الخبر الذي جاء به هنا لصالح اليهود في ظنه هو في حقيقة الأمر ليس لصالحهم بل ضدهم، لأنّ ولفنسون أكثر في الكتاب من ذكر حسن العلاقة بين المسلمين واليهود في بادئ الأمر، ولكن هذا الخبر لا يخدمه حين يرثي زعيمٌ من زعمائهم أعداءَ المسلمين من المشركين.

ثالثا:مجيء يهود بني النضير للأحزاب يوم الخندق.ونصه : "**وجاءت** وفود من يهود بني النضير إلى مكة لتحزب الأحزاب ليوم الخندق وذلك بعد الهجرة"[3]. وهذا يقال فيه ما قيل في الذي قبله، إنّ هذا لا يسجل لصالح اليهود بل يسجل ضدّهم.

رابعا:قصة العبد اليهودي الذي أسلم: ذكر قصة عبد يهودي أسلم حين سمع من **النبي** ﷺ سورة يوسف، وأنّ النبي ﷺ **كافأه على ذلك بعد فتح مكة فأعطاه مالا**[4].وهذه قصة مع رجل أسلم، ولا تمثل اتصالاً مع اليهود، بحيث يستنتج الباحث منها ومن أمثالها تأثير اليهود في ظهور الإسلام. **ومع ذلك فقد روى** البيهقي القصة في دلائل النبوة، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي، عن **أبي صالح، قال: قال ابن عباس:** إنّ حبراً من أحبار اليهود دخل على رسول الله

([1]) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٣.
([2]) السيرة النبوية ، ابن هشام ،ج٣ ،ص٣١٨.
([3])ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٣ .
([4])ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٤ .

ذات يوم وكان قارئا للتوراة فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف، كما أنزلت على موسى في التوراة فقال له الحبر: يا محمد، من علمكها؟ قال: الله علمنيها، قال: فتعجب الحبر لما سمع منه، فرجع إلى اليهود، فقال لهم: أتعلمون، و إن محمدا ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة، قال: فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه، فعرفوه بالصفة، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه، فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف، فتعجبوا منه، وقالوا: يا محمد، من علّمكها؟ فقال رسول : علمنيها الله، ونزل: ("لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين .) يقول لمن سأل عن أمرهم وأراد أن يعلم علمتهم، فأسلم القوم عند ذلك) [1].

وإسناد الحديث واهٍ جداً ، بل يصل إلى درجة الوضع، ففيه محمد بن مروان ابن عبد الله ابن إسماعيل السُّدّي،وهو الأصغر، كوفي متهم بالكذب[2] .وفيه : محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، الكوفي النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض[3]. وفيه أيضا: باذام، أبو صالح مولى أم هانئ ضعيف، مدلس، يرسل[4].

وهناك أمر آخر يتعلق بمتن الحديث، فقد أفاد أنّ عدداً من اليهود أسلم، وهذا يتعارض مع حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: (لَوْ تَابَعَنِى عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِىٌّ إِلاَّ أَسْلَمَ)[5].

خامسا:اتصالاته ﷺ باليهود: يذكر ولفنسون أنّه يُحتمل أنّ النبي ﷺ قد اتصل باليهود في تجارته لخديجة، وبيّن أنّ التجارة بمكة كانت ترتبط ارتباطاً شديداً بيهود يثرب وخيبر[6].وهنا لا بدّ ممّا يأتي:

أولاً : بنى قوله هذا على الاحتمال ، والاحتمال لا يغني من الحق شيئا في ميزان البحث العلمي. أما أنّه اتصل باليهود في تجارته لخديجة فلا يوجد من ذكر هذا أو نقله، بل الذي نجده في كتب السيرة أنه وميسرة نزلا في سوق بصرى تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب نصراني يقال له: (نسطورا) وهو غير (بحيرى) الذي التقى به أبو طالب في تجارته إلى الشام وكان معه رسول ﷺ ، وكان يومها طفل صغير.

---

(1)البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة،تحقيق:عبدالمعطي قلعجي، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٦ / ٢٧٦ .

(2)ابن حجر،أحمد بن علي، تقريب التهذيب،تحقيق محمد عوامة، سوريا،دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ٢ / ٥٠٦.

(3)ابن حجر، تقريب التهذيب،٢ / ٤٧٩.

(4)ابن حجر، تقريب التهذيب،٢ / ١٢٠.

(5)صحيح مسلم ،كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة، ح ٢٧٩٣، ٨ / ١٢٨.

(6)ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٤ .

قال الحلبي في سيرته :"ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب إليه النسطورية من النصارى فإنّ النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية". ثم قال: "هذا وفي القاموس النسطورية بالضم ويفتح أمة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون وتصرف في الإنجيل برأيه وقال: إنّ الله واحد ذو أقانيم ثلاثة، وهو بالرومية نسطورس"(١).

ثانيا: إنّ الذي ثبت هو خلاف ما ادعاه ولفنسون من حسن العلاقة، بل ثبت أن بَحِيرى الراهب النصراني حذّر أبا طالب من اليهود أنّهم إن رأوا محمداً ﷺ سيقتلونه لما يعلمونه من كتبهم عن صفاته، فرجع أبو طالب به إلى مكة(٢).

وقصة بَحِيرى هذه نجد المؤلف ينقل بخصوصها أنّ المستشرقين يشككون فيها، ثم هو بعد ذلك-دون أن يجادلهم أو يناقشهم- يسلم بسهولة لما قالوا، على خلاف ذلك في مواضع أخرى كان يجادل المستشرقين النصارى إذا أنكروا خبراً تشم منه رائحة المدح لليهود، فإنّه يرد عليهم ولا يرتضي كلامهم.ونقول إنّه حتى لو ثبت ما قاله ولفنسون فإنّه لا يعني لنا شيئاً، ولكنه قد يعني له ولبعض المستشرقين أنّ النبي ﷺ استفاد من اليهود، وكيف يخطر ذلك في بالهم وما جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى يخالف ما يقول به اليهود من عقائد. وهل تكفي ساعة من الزمن ليتلقى هذا الوحي كلّه؟ ثم لماذا سكت اليهود عن ذلك؟ ما وجدنا أحداً من اليهود في زمانه يدعي فضل اليهود على محمد أبداً، ولو حصل مثل هذا ما سكتوا عنه، ولاعترضوا به عليه.

سادسا:مدى التوافق بين القرآن والتوراة،:ذكر نصوصاً من القرآن فهم منها توافقاً بين القرآن والتوراة وخاصة في الآيات المكية، ومنها: قوله تعالى:"إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى"(٣).

وما ذكره عن التوافق صحيح، وذلك أنّ الدين عند الله واحد وهو التوحيد. لكن ما ذكره كلام حق أريد به باطل؛ فمعلوم أنّ القرآن اشتمل على بعض ما كان في الصحف الأولى ، وهذا معلوم، ولكن لا يعني هذا بالضرورة أن اليهود والنصارى على حق، وان بقاءهم على توراتهم وإنجيلهم وصحفهم هو الصواب(٤).

---

(١) علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ ، ج١،ص ٢١٧- ٢١٨.

(٢)ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٣٢٢. .

(٣) ولفنسون،تاريخ اليهود،ص٩٥.

(٤) الطبري،محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر،بيروت،مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م ج٢٤، ص ٣٧٧. وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٨، ص ٣٨٣.وابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٣٠ ، ص٤٢١.

سابعا:المقارنة بين موقف أهل الطائف والنفر من يثرب الذين بايعوا النبي ﷺ: يصف المؤلف أهل الطائف بالعقلية الجامدة، ويصف أهل يثرب بعقلية مرنة قابلة للتطور مستعدة للترقي، ويعزو ذلك لليهود فيقول: "ولا شك أن هذا أثر من آثار التعاليم اليهودية، ونتيجة من نتائج الاختلاط الشديد بيهود يثرب"[1].

وما ذكره عن أهل الطائف -آنذاك- صحيح، أما ما ذكره عن أهل يثرب أن عقليتهم مرنة قابلة للتطور فصحيح أيضا، لكن الذي لا نوافق عليه أن تكون هذه العقلية من نتائج مخالطتهم لليهود، بل إن يهود بني قينقاع -كما قال المؤلف نفسه- كانوا وقفوا مع الأوس في حربهم ضد الخزرج ، فماذا يقول في دخول الخزرج في الإسلام؟ ثم لماذا لم يبين طبيعة عقلية اليهود، وموقفهم من الدعوة؟ هل عقلية اليهود مرنة؟ وقد رأينا من إعراضهم عن الإسلام مع اعتراف كبرائهم وزعمائهم بصدق محمد ﷺ، ونطق ناطقهم بذلك، كما ورد على لسان كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة في غزوة الخندق يرد على ابن أخطب حين دعاه إلى نقض العهد: "ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه؛ فأني لم أرَ من محمّد إلا صدقاً ووفاءً"[2]، لكنه ما زال به حتى نقض العهد!

بعد هذا نتساءل: هل عقلية اليهود-من بني قينقاع، وقريظة،والنضير،وخيبر- مرنة بحيث تجعلهم لا يجدون فرصة إلا ويطعنوا في ظهر المسلمين أو يخونوا عهودهم؟!

ثامنا: التشكيك في النصرانية لصالح اليهود: كان ولفنسون في حديثه عن أثر اليهود في ظهور الإسلام يحاول من خلال الأمثلة أن ينفي أي اثر للنصرانية في الإسلام، ويبين أنه لم تكن أية علاقة بين أحد من النصارى والمسلمين على النحو الآتي:

أ. شكك في لقاء النبي ﷺ لبَحِيْرَى الراهب، ونقل العبارة عن المستشرقين، وسكت عنها وكان من عادته أن ينقد ما لا يوافقه[3]. وقصة بحيرى الراهب أوردتها كتب السيرة، وذكروا أنه راهب نصراني انتهى إليه علم النصرانية، وكان لقاء القافلة له في صومعته، ولكن بعضهم ذكر أنه حبرٌ من أحبار اليهود[4]، وبين صاحب السيرة الحلبية أنه يحتمل أنه كان يهودياً ثم تنصر[5].

وحكم الشيخ الألباني على حديث قصة بحيرى بقوله:إسناده صحيح، ونقل أسماء من صححه من الأئمة قبله وهم: ابن سيد الناس، والجزري، وابن

---

(1)ولفنسون،تاريخ اليهود، ص١٠١ .
(2)ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ،ص١٧٨ .
(3) ولفنسون،تاريخ اليهود، ص٩٤.
(4)ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٣٢٠ .
(5) ابن برهان الحلبي،السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون،ج١ص١٩٣.

كثير، وابن حجر، والسيوطي، ما عدا ما يتعلّق بإرسال أبي بكر بلالاً مع النبي ﷺ ، وبين ذلك بتفصيل(1)، وهو ما أراه مقبولاً وأوافقه عليه.

ب.التشكيك في سبب الهجرة إلى الحبشة: حيث ردّ على جماعة من المستشرقين –نصارى- يقولون: إن سبب اختيار الحبشة هو أنّ النبي ﷺ كان يفضل وجود المسلمين في بيئة نصرانية على وجودهم في بيئة من المشركين، فلم يوافقهم ولفنسون على هذا، بل وجدناه يعزو الأمر لعامل سياسي، وهو وجود أطماع حبشية في مكة مما جعل النجاشي يستقبل أولئك اللاجئين، كما أنّ النبي كان يعلم مدى علاقة يثرب بمكة، وأنّها لن تستقبل هؤلاء اللاجئين فلم يجد إلا الحبشة، فهي المكان الهادئ الذي يتوافر فيه الأمن للمسلمين(2).

والحاصل أن ما نقله عن المستشرقين وما ذكره مخالفا إياهم به غير صحيح، فلم يكن النبي ﷺ يفضل بيئة نصرانية كما قال أولئك المستشرقين النصارى، فهذا قول بالاحتمال ينقصه الدليل، وأما عن وجود أطماع حبشية كما ادعاه المؤلف فهذا ليس عليه دليل أيضا، ولو صح لكان ذلك مانعا لهجرة المسلمين إلى الحبشة، ولم ينقل إلينا أنّ النجاشي تحدث معهم بخصوص هذا الأمر، بل إنّه لما جاء وفد المشركين ليردوهم أحضرهم ليسمع جوابهم ثم خطب جعفر بما خطب من بيان عيوب الجاهلية ومحاسن الإسلام وتلاوة آيات من سورة مريم، حتى بكى النجاشي وبكت بطارقته، ثم أسلم النجاشي فيما بعد، وصلى النبي ﷺ عليه صلاة الغائب. بل لو كان ما يدعيه ولفنسون صحيحاً من وجود أطماع له لكان حريا به أن يرد من أتاه من المسلمين فيكسب علاقة المشركين، وخاصة أنّ بعضاً منهم كانت تربطه به علاقة جيدة مثل عمرو بن العاص، لكنه ردّهم وأغضبهم.

وفوق هذا كله فإنّ الذي دل المسلمين على الحبشة هو النبي ﷺ؛ فقد كان عنده من فقه الواقع ما أرشد إلى أنّ ذلك البلد يحكمه ملك لا يظلم عنده أحد كما بينت أغلب كتب السيرة.

ومن ذلك ما نقله ابن هشام عن ابن إسحاق: " قال لهم لو خرجتم إلى ارض الحبشة؛ فإنّ بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم "(3).

ج.وصف النصارى باضطهاد اليهود: أشار المؤلف في غير محل إلى أنّ تأثير اليهود في المسلمين كان أكثر من النصارى، وذكر أمثلة يفهم منها الفرق الشاسع بين اليهود والنصارى من حيث المبادئ والأخلاق. فقال: "لا ننكر على النصرانية تأثيرها في العرب بوجه عام، ولكنّه على كل حال تأثير ضئيل

---

(1) الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية -عمان- الأردن،ط1، ص30.

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص99.

(3)ابن هشام، السيرة النبوية ج2 ص164 .

بالنسبة للنفوذ اليهودي الذي كان واضحاً جلياً في كل ناحية من نواحي الحياة الروحية والمادية"[١].

وقد أشار إلى ذلك حين ذكر أنّ من بين المغانم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة، فلماء جاء اليهود يطلبونها أمر النبي بتسليمها لهم"، وهذا نص نقله من كتاب تاريخ الخميس للديار بكري[٢]. ولكنّه أراد منه أمران كما ظهر من كلامه:

١.بيان مكانة التوراة عند النبي ﷺ: حيث قال: "ويدلّ هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول ﷺ من المكانة العالية.والحقيقة إن موقف النبي ﷺ يدلّ على مدى احترامه للدين والأخلاق وأنّ ما في التوراة حق، لكنّه لا يعني أنّ اليهود في ذلك على حق، ومما يؤكّد ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام: "وأتى رسول ﷺ رافع بن حارثة، وسلام بن مِشْكم، ومالك بن الصيف، وراف بن حريملة، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق؟ قال: بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئتُ من إحداثكم.قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنّا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك"[٣].

٢.الطعن في النصارى:حيث ذكر بعض ماضيهم وهو يقارنه بموقف للنبي ﷺ ، حين تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ب.م، إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم، وأيضا ما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حيث أحرقوا صحف التوراة[٤].ولذلك إنّ ما خلص إليه المؤلف غير دقيق عندما قال: "إنّ اليهود كانوا من أهمّ الأسباب التي ساعدت على ظهور الإسلام، وإنْ يكن ذاك بطريقة غير مباشرة" [٥]،كما تم بيانه.

الفرع الثاني: أخبار تدل على رسوخ الإيمان في نفوس اليهود:

ومن ذلك حين نقل رواية عن ابن هشام أنّه قبل أن ينزح بنو النضير هدموا البيوت عن نجاف بابهم فوضعوها على ظهر البعير وانطلقوا بها. وهنا نجد ولفنسون خالف المستشرقين في تفسيرهم لفعل اليهود هذا حين قال بعضهم: إنّ سبب نقلهم لها أنّ الأخشاب كانت غالية في الأقاليم الصحراوية فأخذوها ليبيعوها. لكنّ ولفنسون لا يوافق على هذا الرأي، ويرى أنّ سبب ذلك يرجع إلى عقيدة تلمودية معروفة عند اليهود، وهي أنّ كل يهودي يعلق على

---

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٩٩.
(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٨٦.
(٣)ابن هشام،السيرة النبوية ،ج٣،ص١٠٦.
(٤) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٧٠.
(٥) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٠١.

نجاف داره صحيفة تشتمل على وصية موسى لبني إسرائيل بأن يحتفظوا بالإيمان بالله واحد ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا، وعزا ذلك في الهامش: (كتاب تثنية، فصل ٦،آية ٥).فاليهود حين ينزحون من منازلهم يأخذونها معهم، فاستنتج ولفنسون أن يهود بلاد العرب كانوا يصنعون تلك الصحيفة في داخل النجاف خوفاً من إتلاف الهواء أو مسّ الأيدي فلما رحلوا أخذوها[١].

وهذا الذي قاله ولفنسون استنتجه من عند نفسه وإلا فالقرآن وصفهم بقوله:(يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وكما قال الطبري: "... وأنهم يخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين" . وقال قتادة: "جعلوا يخربونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها"[٢].كما نقل عن الزهري قوله: "لما صالحوا النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها، فكان ذلك خرابها"[٣]، على أني لا أنكر وجود تلك العقيدة عند اليهود من حيث وضعهم كتبهم في نجاف أبوابهم او في أمكنة معينة من بيوتهم.

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن بني النضير لما أيقنوا بالجلاء "حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم، فجعلوا يخربونها من داخل، وقد كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه أو الباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحلونها على الإبل".ثم نقل رأي ولفنسون في تفسيره سبب تخريب اليهود، فقال: "وإنا نسلم إن هذه عادة اليهود، ولا ننازعه في أنهم أخذوا تلك الصحائف المقدسة مع ما أخذوا، لكن أخذ الصحائف فقط لا يستدعي هدم البيوت، وإلا كان الواحد منهم إذا انتقل من بيت إلى أخر هدم البيت الأول لاستخراج صحيفته، وهذا محال، وعبارة ابن إسحاق صريحة في أن الرجل منهم كان يهدم بيته عن نجاف بابه ويضعه على ظهر بعيره فينطلق . والنجاف الذي يقال له الدوارة وهو الذي يستقبل الباب من أعلى الأسكفة . وفي السيرة الحلبية صاروا ينقضون العمد والسقوف وينزعون الخشب حتى الأوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا"[٤].

ومن الأخبار التي نقلها ولفنسون واستنتج منها رسوخ الإيمان في نفوس اليهود عندما دعا كعب بن أسد زعيم بني قريظة أبناء جلدته أن يعتنقوا الإسلام قبل أن ينفذ فيهم محمد ﷺ حكمه "فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم، فقالوا:لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل غيره"[٥] . وما

([١]) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٨.
([٢])الطبري، جامع البيان،ج٢٣، ص٢٦٤.
([٣])الطبري، جامع البيان،ج٢٣، ص٢٦٥.
([٤])محمد رشيد رضا، محمد رسول الله، ص ٣١٧.
([٥]) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٠.

استنتجه لا يعم جميع اليهود بل انقسموا إلى فريقين فريق يصدق بنبوة محمد ﷺ ويريد أتباعه ومنهم زعيمهم ويذكرهم بالأطفال والنساء ، وفريق آخر يرفضون الانصياع للنبي ﷺ وأنهم لن يفارقوا حكم التوراة أبدا. **إلى نقل الواقدي** أنّ بعضهم اقترح أن يكسروا سبتهم فيقاتلوا النبي ﷺ ، فاختلفوا في هذا، بعضهم وافق ومنهم حيي بن اخطب، وبعضهم رفض، ثم قال الواقدي: **فاختلفوا وندموا على ما صنعوا**[1].

الفرع الثالث: مدى تطلع اليهود إلى مجيء النبي ﷺ إلى المدينة:

يرى المؤلف أنّ اليهود كانوا ينتظرون بفارغ الصبر قدوم النبي محمد ﷺ ، وأنّ رجلاً منهم قال: "هذا جدكم قد جاء" [2]. والسبب في موقف اليهود هذا –كما يراه ولفنسون- أنّهم كانوا يرون فيه صاحب عقيدة دينية تتفق في جوهرها مع دينهم، وأنّهم كانوا يطمحون إلى التأثير فيه حتى يدخل في دينهم، فيتعاونون لمحو عبادة الأصنام، كما كانوا يطمحون أن يوحّد بطون يثرب فتنهض يثرب لتصبح أعظم مركز للتجارة[3].

إنّ ما ذكره من خروج اليهود لرؤيته صحيح، فقد خرج نفر منهم، وقد كانوا من قبل يتوعدون الناس به، وأنهم سيتبعونه، فكان من الطبيعي أن يخرجوا لرؤيته، وكان أول رجل رآه يهودي وقال تلك العبارة، وكان ممن خرج أيضاً عبد الله بن سلام الذي أسلم. فالسبب في خروجهم إنما كان لرؤية النبي ﷺ الذي طالما سمعوا به، وليس لأنه صاحب عقيدة تتفق مع عقيدتهم. **وأما** أنهم طمعوا بإدخاله في دينهم فهذا كلام لا قيمة له دون أي دليل. **وكل ما ذكره** بعد ذلك هو استنتاج ضعيف سواء رغبتهم في إدخاله في اليهودية لمحو عبادة الأصنام أو لتوحيد قوى المدينة لتزدهر اقتصاديا.

الفرع الرابع: بيان أخلاق اليهود الحسنة ، والاعتذار عن أعمالهم القبيحة.

*ركز ولفنسون على أخلاق اليهود، وحاول كثيراً أن يظهرهم بمظهر محترم لائق، وأنّ ما ارتكبوه من مخالفات أو جرائم لا يلامون عليها وإن ارتكبوها مرارا، وأنّ المسلمين اضطروهم إليها اضطراراً، وكان أول عمل –**عند ولفنسون**- ظهر فيه حقد اليهود على المسلمين، ومحاولتهم الانتقام من المسلمين، هو **عندما أخرج النبي** ﷺ يهود بني النضير من بلدهم، فإنّ هذا أثّر على حالتهم؛ فقد كان لهم بلد يسكنون فيه، وكانوا فيه أصحاب السلطان المطلق والثروات الطائلة والمزايا الواسعة، ولذلك كما يرى ولفنسون لا يستطيع أحد أن يوجه إليهم أقلّ لوم على محاولتهم الرجوع إلى بلدهم

---

(1) **الواقدي، المغازي، ص٥٠٣.**
(2) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١١١.
(3) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١١١.

وتجميعهم في سبيل ذلك الحلفاء والأنصار، للثأر من خصومهم، فهو عمل مشروع [١].

*ولكنه في سياق حديثه عن إجلاء اليهود ذكر أن نفراً من بني قينقاع بعد خيبر عادوا إلى المدينة، وبحث السر والسبب في عودتهم، فوجد أنه لم يكن سبب لإخراجهم من المدينة إلا عدم اعتناقهم الإسلام، فهم لم يرتكبوا من الجرائم التي تُوغر صدور المسلمين وتملأها بالحقد عليهم، وبالتالي فإنه لا يوجد ما يمنع من عودتهم إذا كان في ذلك منفعة للمسلمين في استثمار الأموال التي غنمها المسلمون من اليهود والقبائل العربية المغلوبة، وخاصة أن بني قينقاع كانوا يتقنون صناعة الصياغة، بخلاف العرب لم تكن لهم خبرة بها[٢].

وهذا تغافل منه عن السبب الحقيقي لإخراج بني قينقاع، وهو الاعتداء على المرأة المسلمة بكشف حجابها ثم قتل مسلم بعد ذلك، وقبل ذلك كله تهديدهم للنبي ﷺ [٣]. ولو كان عدم اعتناق الإسلام هو السبب فلم صبر النبي ﷺ عليهم تلك المدة؟ ولم صبر بعدهم على غيرهم من بني النضير وبني قريظة؟ إلا أن يكونوا ارتكبوا أفعالاً أدت إلى إجلائهم.

وأما عن سبب عودتهم هو أن المسلمين كانوا بحاجة إليهم فليس بصحيح، وإنما سبب قبول رجوع بعضهم بعد إجلائهم ونفيهم هو إسلامهم،وهو **ما رواه مسلم عن ابن عمر ،** "أن يهود بني النضير ، وقريظة ، حاربوا رسول الله ﷺ **،فأجلى رسول** الله ﷺ بني النضير ، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك ، فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ ، فآمنهم وأسلموا **، وأجلى رسول** الله ﷺ يهود المدينة كلهم ، بني قينقاع ، وهم قوم عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهودي كان بالمدينة" [٤].

قال الشافعي عن أهل الكتاب: "فأما الرسل ومن أراد الإسلام فلا يمنعون من الحجاز ؛ لأن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ : **(وإن أحد من المشر**كين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)"[٥].

* وعندما تحدث عن غزوة خيبر بدأ بالحديث عن عملية الاغتيالات التي قام بها المسلمون ضد اليهود، فذكر اغتيال (سلام بن أبي الحقيق)، وبين أن سبب اغتيال المسلمين له هو أنه كان من أصحاب العقول الراجحة، فأراد

---

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود، **ص١٤٢.**
(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص**١٧٦.**
(٣)ابن كثير، السيرة النبوية، **(٣ / ٦)** .
(٤)صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، حديث : **٣٣٩٩** .
(٥) البيهقي، أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، تحقيق: **عبد المعطي قلعجي، مصر، دار الوفاء،١٤١٢هـ**، كتاب الجزية،، حديث : **٥٧٤٦** .

المسلمون أن يتخلصوا منه قبل أن تدور المعارك بينهم وبين اليهود"[1]. ولا أدري من أين وقف على هذا السبب! مع أن عادته أن يرجع إلى سيرة ابن هشام ويعتمد ما رواه عن ابن اسحق. فقد قال ابن هشام: "قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ"[2].

فظهر سبب اغتيال المسلمين له، وهو التحريض على المسلمين، ولكن هذا لا يخدم ولفنسون ولا يساعده في إظهار اليهود بمظهر حسن؛ لذا أعرض عنه.

*وأما الثاني الذي اغتاله المسلمون فهو (اليسير بن رِزَام)، فذكر ولفنسون قصة اغتياله، ونقل ما في كتب السيرة أن عبد الله بن رَواحة ومن معه اقنعوا (اليسير) أن يسير معه إلى رسول الله ﷺ ليستعمله على خيبر، ثم بعد ذلك ساروا مسافة، فندم اليسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ فمد يده إلى سيف رديفه على البعير ابن أنيس يريد قتله، ففطن له ابن أنيس فضربه بالسيف ثم قتل كل رجل من المسلمين رديفه من اليهود[3]. ولكن ولفنسون استنتج بعد هذا من نص عند الواقدي أفاد أن بعض اليهود لم يكن يوافق على محاربة المسلمين، وأنّ اليسير سار فعلا إلى النبي ﷺ يريد الحلف مع النبي ﷺ ليمحو الحقد من القلوب؛ بسبب اشتراك عدد من زعماء خيبر والنضير في الأحزاب، بخلاف ابن رواحة الذي جاء لتنفيذ خطة سياسية خطيرة من شأنها أضعاف اليهود وهي قتل بعض زعمائهم[4].

وهذا كله يدل على عدم رغبة هذا المستشرق في قبول ما جرى على وَفق نقل كتب السيرة، التي تشير إلى العمل الخطير الذي أداه (اليسيرُ) من تحريض يهود الشمال وقبائل غطفان لقتال المسلمين، فلذلك أرسل سرية برئاسة ابن رواحة لإقناعه بالذهاب إلى النبي ﷺ ليستعمله على خيبر، فقد كان النبي ﷺ يريد وقف القتال بأي طريقة، وهذا ما كان يريد إلا أن ما فعله اليسير قلب الخطة رأسا على عقب، مما أدى إلى قتله، وقتل أصحابه من اليهود. فالغدر إنما كان من اليسير وليس من المسلمين. هكذا نقلوا لنا من يعتمدهم ولفنسون في النقل إلا أنه أبى هنا إلا أن يقلب الحقيقة رأساً على عقب.

* وفي أعقاب غزوة خيبر جرى للنبي حدث خطير نقله ولفنسون وعلق عليه وهو قيام امرأة اليهودي سلّام بن مِشكم بإهداء النبي شاة مصلية مسمومة، وقامت بوضعها بين يدي النبي ﷺ، فتناول منها الذراع فلاك منها فلم يسغها...الخ، ونقل هذا الخبر من سيرة ابن هشام.وذكر ولفنسون أن هذا العمل

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٨.
(2)ابن هشام،السيرة النبوية ،ج٤، ص٢٣٤.
(3) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٨.
(4) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٩.

أثار سخطاً شديداً في نفوس مؤرخي العرب على هذه الفتاة التي حاولت أن تغتال حياة النبي بمثل هذه المكيدة. لكنّ ولفنسون لا يعجبه هذا السخط، ويذكرنا بأنّ تلك الفتاة قتل أبوها وكان زعيماً وكان شريفاً، ومات زوجُها وكان قائداً ذا مجد تليد، ولذا فعلت ذلك تحت سلطان الغضب، ثم يخلص إلى قوله: "والمؤرخ الذي يلتفت إلى هذه الاعتبارات كلها يلتمس لهذه المرأة بعض العذر فيما أقدمت عليه من عمل منكر"(١).

والناظر في تحليله لهذا الموقف من المرأة يجده لا يقدر أن يتغاضى عن المنكر الذي فعلته تلك المرأة، ولكنّه يصعب عليه أيضاً أن يقدّم اليهود بمثل تلك الصورة، فعملها وإن كان فيه قبح، لكنّه مبرر، مع إقحامه الثناء على أبيها وزوجها بأبلغ العبارات، متناسياً الدور الذي قام به سلّام بن مِشكم في التحريض على المسلمين. قال عنه الواقدي في سياق قتله في غزوة خيبر: "وهو كان صاحبُ حَرْبِهِمْ، ولكِن اللهُ شَغَلَهُ بالمرضِ"(٢).

** ومن خلال قَرَاءة كتاب ولفنسون لم أجده لام اليهود في أعمالهم وأخطائهم وجرائمهم إلا على عمل واحد، وهو عندما سألت قريش بني النضير- لمّا دعوهم إلى التحزّب ضدّ النبي ﷺ- عن أمر دين محمد ﷺ هل هو خير أم دين قريش؟ فكانت إجابة أولئك النفر من اليهود أنّ دين قريش خير من دينه ﷺ، وأنّهم أولى بالحق منه، مما سرّ قريش ذلك، فوقفوا إلى جانبهم(٣). فإنّه لام اليهود على أنهم فضلوا دين قريش وهو عبادة الأصنام على دين التوحيد، وما كان ينبغي أن يصدر ذلك منهم، فبني إسرائيل هم حاملي راية التوحيد كما يرى ولفنسون، وأنّهم بفعلهم هذا ناقضوا التوراة، وخالفوا سنة أجدادهم الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل التوحيد(٤).

الفرع الخامس: أثر خروج اليهود من المدينة على الأحوال في المدينة:

أولا:تردي الوضع الزراعي والتجاري والصناعي:بالغ ولفنسون في وصف الأحوال الاقتصادية بعد القضاء على اليهود وإخراجهم من المدينة، حيث ساءت الأحوال التجارية والصناعية، وأنّ الذي أبقى للمدينة مكانة هو أمر واحد، وهو وجود ضريح النبي ﷺ، وكذلك مكة لولا وجود الكعبة لما سكنها أحد. (٥) . ولكن أستاذه الدكتور طه حسين كفانا مؤونة الرد عليه -على خلاف عادته-، حيث نقل ولفنسون رأيه بأنّ سوء الأحوال لم تكن بسبب خروج اليهود، وإنّما كانت بسبب انتقال نشاط المسلمين إلى خارج الجزيرة العربية

---

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٧١-١٧٢.
(٢) الواقدي،المغازي، ج٢ص ٦٨٠.
(٣) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٤٢.
(٤) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٤٢.
(٥) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٣-١٥٤.

بسبب الفتوحات. ولو بقي اليهود مسالمين للنبي ﷺ حتى الفتوحات لخرج اليهود إلى تلك البلدان المفتوحة التي هي أخصب وأنفع لهم[1].

وما قاله الدكتور طه حسين فيه قدر من الصحة، فالمسلمون انشغلوا بالجهاد والفتوحات، ثم ظهرت الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وغيرها من أسباب أدت نوعا ما إلى عدم اشتغالهم بالتجارة أو الصناعة.

ونجد هنا أنّ د.طه حسين خالف تلميذه العالم-كما سمّاه-! ،ونادرا ما كان يخالفه، مع أنّ طه حسين وافق ولفنسون على كل ما قال ضد المسلمين،وتحيز لليهود، فاستغربت هنا موقفه هذا، إلا أنّه ظهر لي أنّ الدكتور طه حسين لم يرد انتقاد اليهود هنا بقدر ما كان يريد الانتقاص من ذلك المكان الذي كان فيه اليهود، وتفضيل غيره عليه، إذ وصف أنّ خارج الجزيرة أخصب وأنفع، وجعل مقياس النفع مادياً.

ثانيا:كسر شوكة المنافقين: حيث بين أنّ ما آلت إليه أحوال اليهود من إجلائهم أو قتلهم أدى إلى كسر شوكة المنافقين الذين كانوا حلفاء لليهود[2]. فقد كان ابن أبيّ حليفاً لبني قينقاع، وكان يتقوى بهم من الأموال والسلاح، فلمّا كسرت شوكتهم كسرت شوكته.والذي يريده ولفنسون من هذا ما صرح به وهو أنّه خفت صوتهم، ولم تعد تسمع لهم أعمالاً وأقوالاً معارضة لإرادة النبي ﷺ كما كان من قبل. وولفنسون يريد أن يتوصل بهذا إلى أنّ النبي ﷺ لم يستطع أن يقضي على شوكة المنافقين إلا بالقضاء على اليهود، والحاصل أنّ النبي ﷺ كان قادراً على القضاء عليهم، إلا أنّه علّل عدم قتلهم ، كما روى البخاري "... فقال عبد الله بن أبي : أوقد فعلوا ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر بن الخطاب: -رضي الله عنه- : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي ﷺ : "دعه لا يتحدث الناس أنّ محمدا يقتل أصحابه""[3]. وهي حكمة من النبي ﷺ في أمر الدعوة، حيث توقع أن تنطلق الشائعات إذا قتل منهم بأنّ النبي ﷺ يعاقب المسلمين على أدنى خطأ بالقتل، مما سيرعب الناس ويمنعهم من الدخول في دعوته.

ثالثا:الاستيلاء على ثرواتهم:يصور ولفنسون المسلمين بالغزاة الطامعين في ثروات غيرهم، ولكن بطريقة غير مباشرة، حيث تحدث عن نتائج جلاء اليهود وأثره على أوضاع المسلمين فقال: "أما النتيجة المادية لمحو السلطة اليهودية في يثرب فواضحة،فقد قسّم الرسول المغانم من الذهب والفضة ومن المنازل والمزارع على المهاجرين، ووضع تحت يد أنصاره زعلمة الآلام التي أخذت من اليهود، وما بقي من الأموال بعد هدايا المهاجرين والأنصار حفظ في

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٤.

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٤.

(3)صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة ، باب قوله : يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها، حديث : ٤٦٢٦ .

بيت المال للدولة الفتية التي ظهرت بمظهر القوة بعد غزوة بني قريظة، وكانت في حاجة جديدة إلى الأموال التي تساعد على تنفيذ المشروعات المهمة في الحجاز وأطراف الشام"[1].

أما أنه يصف اليهود بأنهم أصحاب سلطة، فلا ندري من أين جاءتهم السلطة وقد كانوا يخضعون للدولة الإسلامية! لكنه يريد تضخيم حجم اليهود ليضخم بعد ذلك أثرهم في المسلمين.

وأما بيانه أن مظاهر القوة ظهرت على المسلمين بعد قريظة وتوزيع ممتلكاتهم وأموالهم على أنصاره لتنفيذ المشروعات في الحجاز والشام، فنحن لا ننكر أن ما يغنمه المسلمون من القتال ينفعهم ويقوي حالهم، لكن ليست تلك غاية الجهاد ولا رغبة المسلمين، فقد قبلوا معايشتهم في المدينة حتى مع كفرهم، ولولا ما ظهر منهم من الغدر لما فكر أحد في قتالهم أو قتلهم.

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٤.

المطلب الخامس

موقفه من الحرب على اليهود

الفرع الأول:أسباب الحرب على اليهود:

أولا: المخالفة في الدين، ووقوفهم عقبة في طريق الدعوة: يرى ولفنسون أن بداية النزاع بين اليهود والنبي ﷺ كانت بسبب أن النبي أراد إجبارهم على الدخول في دينه، وأنه أراد أن يطهّر المدينة من كل المشركين ومن يخالفه في دينه، ولولا ذلك ما حصل بينهم أي نزاع أو خلاف، ثم راح يذكر أمثلة من جدالهم مع النبي ﷺ في أمر دينه، ثم نزول الآيات ترد عليهم حتى وصل الأمر إلى طعن النبي ﷺ فيهم وطعنهم فيه فظهرت العداوة بينهم[1].وبيّن أيضاً أن بني قينقاع من موالي بني الخزرج وكانت أغلب بطون الخزرج أسلمت، ولذلك أراد النبي ﷺ إسلامهم أو قتالهم وإخراجهم حتى لا يبقوا عقبة في طريقه.

أما أن النبي ﷺ أراد إجبارهم على الدخول في دينه، فهذا لم يكن من النبي ﷺ، فمعلوم أن أول أعماله بعد الهجرة تلك الوثيقة التي نظم فيها علاقة المسلمين باليهود، وأقرهم على دينهم، وجعل لهم حقوق المواطنة وواجباتها [2].

ولم نجد النبي ﷺ أجبر أحداً منهم على ترك دينه، والأدلة على ذلك كثيرة، ويمكن أن ننقل قول صفية بنت حيي زعيم بني النضير، حيث أخبرت أنّ النبي ﷺ قال لها: "إن أقمت على دينك لم أكرهك، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك.قالت:أختار الله ورسوله والإسلام. فأعتقني رسول الله ﷺ، وتزوجني وجعل عتقي مهري"[3].

وبعد بدر دعا النبي ﷺ يهود بني قينقاع وحذّرهم فقال ﷺ: "يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم، وعهد إليكم. قالوا يا محمد: إنّك ترى أنّا قومك: لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب: فأصبت منهم فرصة: إنا و لئن حاربنك لتعلمن أنا نحن الناس"[4]. فهذه دعوة وتحذير وليس إجبارا منه لهم. وقال ابن هشام عن سبب حرب المسلمين إياهم:"وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال: كان من أمر بن قينقاع أن

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢٣ص١٢٤.

(2)الروض الأنف في شرح غريب السير،(٢ / ٣٤٥) .

(3) الواقدي،المغازي، ج٢، ص٦٧٥.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ص ٣١٣ .

امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بن قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاصطرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع"[1]. ولكن هذا السبب الذي نقله ابن هشام بالإسناد لا يُوَافِق عليه ولفنسون ولكن بطريقة غير مباشرة، حيث نقل عن المستشرقين أنهم لاحظوا أن ابن هشام لم يروها عن ابن إسحاق المرجع الثقة له، كما أن الواقدي لم يذكر القصة، وبالتالي يرون أنها متأخرة وغير واقعية[2].

وهذا المنهج غير موضوعي، فمن قال إنّ الخبر عند ابن هشام لا يحتج به إلا إذا كان عن ابن إسحاق؟ ومن قال أيضاً إنّ ما لم يذكره الواقدي ليس بحجة، وهل استقصى الواقدي أخبار السيرة كلها؟ فهذا الخبر اتفقت أغلب كتب السيرة على نقله، وكان ابن هشام نقل الخبر عن غير ابن إسحاق، ولا يضير ذلك الخبر شيئاً إن كان نقله عن ثقات.

ومما يدلّ على عدم الموضوعية في البحث أنّه اغفل ما نقله ابن هشام عن ابن إسحاق في الصفحة نفسها عن خيانة بني قينقاع حيث قال:"قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد"[3].

ثانيا: **أثر وقعة** بدر على علاقة المسلمين باليهود: **أشار المؤلف إلى أن انتصار** المسلمين في بدر مهّد لغزو بني قينقاع، إذ أصبحت الظروف مواتية لذلك. **وذكر أن النبي** ﷺ لم يشأ تأليب اليهود عليه قبل الغزو، فلما انتصر في بدر وظهرت قوته، صارت الفرصة مواتية لتأديب اليهود، حيث أصبح **المسلمون أصحاب** الأمر والنهي في يثرب، ولذا شرعوا يأخذون بالثار من الجماعات والأفراد الذين أساؤوا إليهم، ولذا تغيرت سياستهم تجاه اليهود فأصبح الأمر إما أن يدخلوا في الإسلام أو يتم إجلاؤهم خارج المدينة"[4]. وما قاله لا دليل عليه، فصحيح أن قوة المسلمين ظهرت في بدر، وصحيح أيضاً أن النبي ﷺ حذرهم، لكن لم يكن ذلك يعني أن النبي حاربهم أو أجلاهم لظهور قوته، وغزوه لبني قينقاع تم توضيحه سابقا، وأنه غزاهم لمحاولتهم اغتيال النبي ﷺ، ومن قبلها أساءوا إليه بتهديدهم إياه، فظهرت خيانتهم للعهد مع النبي ﷺ.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3ص 314 .
(2) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص130.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية،ج3،ص 314 .
(4) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص127.

ثالثا: سوء أحوال المسلمين المادية: أشار ولفنسون في أثناء حديثه عن مقدمات غزو النبي ﷺ لبني قينقاع - وكانوا أهل غنى ومال وسلاح- إلى أن أحوال المهاجرين كانت سيئة، وأنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة مقاومة اليهود في يثرب إذ كانت أحوالهم سيئة فلم تكن له مزارع ولا منازل ولا مال، بل كانوا يسكنون مع الأوس والخزرج(١).

وما ذكره لا دليل عليه، فكون بني قينقاع أغنياء لا يعني أن الناس يطمعون فيهم. ولم يأتِ بما يؤكد كلامه، إلا انه استنتج ذلك من عند نفسه، وهذا يمكن أن يصح لو كنا نتحدث عن غير المهاجرين، فهم الذين ضحوا بأموالهم وأوطانهم في سبيل الإسلام، فهاجروا إلى المدينة تاركين كل ما يملكون خلف ظهورهم، وكم من رجل منهم كان غنياً فترك جميع ما يملك هجرة إلى الله ورسوله، وأبو بكر الصديق وعثمان وصهيب الرومي ... وغيرهم مما يؤكد ما نقول، فما الذي جعلهم يفعلون ذلك إلا أن يكونوا مخلصين صادقين.

رابعا: الثأر: ذكر ولفنسون أنه في أعقاب غزوة بدر شعر المسلمون بالانتصار، ولجأوا إلى الثار من الأفراد والجماعات التي أساءت إليهم في السابق، وكان منهم اليهود، وأن الخزرج والمنافقين منهم كانوا يسعون إلى ذلك، وكانوا يشجعون النبي ﷺ على ذلك(٢). وهذا احتمال ينقصه الدليل، إلا إذا كان المؤلف يقصد أن الخزرج طلبوا أول بيعتهم من النبي ﷺ أن يقف معهم ضد يهود، حيث ورد أن أبا الهيثم بن التيهان قال: "يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها -يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم"(٣) . فهذا مع صحته لكنه لا يعني أن الخزرج ما زالوا يحرضون النبي ﷺ دون وقوع أي غدر منهم وأنهم يريدون الثار منهم.

ويرى ولفنسون أن ما صارت إليه بني قريظة من القتل وما آل إليه حال اليهود بشكل عام من القضاء التام عليهم كان رائد بطون الأوس والخزرج منذ الساعة الأولى لمجاورتهم في يثرب(٤). وهذه الخاتمة أو النتيجة التي توصل إليها ولفنسون تدل على تحكمه وتعصبه، حيث تغافل عن غدر اليهود وخيانتهم، كما تغافل من جهة أخرى عن كثير من الأوس الذين كانوا طلبوا من سعد بن معاذ أن يحسن في بني قريظة حين أراد أن يحكم فيهم بعد خيانتهم

---

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢٧.
(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود،ص١٢٦-ص١٢٧.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢،ص ٢٩١ .
(٤) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٥٢.

وغدرهم، كما نقلت ذلك بعض كتب السير[1]، ولكنه التحكم والتعصب على المسلمين، والشفقة كل الشفقة على بني يهود.

خامسا: ضعف اليهود وقلّة عددهم: بين ولفنسون بطريقة تدل على عجزه وعدم موضوعيته أن من الأسباب التي شجعت المسلمين على قتال يهود بني قينقاع قلة عددهم وضعفهم. وهذا الذي قاله غير صحيح، بل المشهور عكسه، وهو أنّ بني قينقاع كانوا أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع[2]، هذا بالإضافة إلى أنّهم كانوا يشتغلون بصناعة السلاح، ولذلك لما نصحهم النبي ﷺ ودعاهم إلى الإسلام أجابوه مُتَحَدِّينَ له بقولهم: "يا محمد إنك ترى أنّا قومك لا يغرنك أنك لقي قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس "[3].

سادسا: عدم مشاركتهم في الدفاع عن المسلمين: يذكر ولفنسون أنّ سبب غزو النبي ﷺ لبني النضير كان بسبب رفضهم المشاركة في غزوة أحد. وسنبين في الفرع الثاني أن هذا غير دقيق وانه ﷺ رفض أساساً أن ينتصر بأهل الشرك على أهل الشرك، بل نقول كيف يقاتلهم وهم لم يعاهدوه على إلا على الدفاع عن المدينة والقتال الداخلي فيها؟، فحتى الأنصار المسلمين حين خرج النبي ﷺ لملاقاة القافلة وخرج عدد من الأنصار معه وأفلتت القافلة طلب النبي ﷺ المشورة للقتال في بدر فتكلم احد المهاجرين، فطلب النبي ﷺ مشورة الأنصار الذين عاهدوه أن يقاتلوا معه أيضا داخل المدينة، فكيف باليهود غير المسلمين؟

فعندما تكلم المقداد بن عمرو من المهاجرين ودعا له رسول الله ﷺ، "قال رسول ﷺ: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله :إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول ؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك... الخ"[4]. ولذا فإنّ النص الذي بايع اليهود النبي ﷺ عليه في الوثيقة يقول: "وإنّ بينهم النصر على من دهم يثرب"[5].

([1]) الواقدي، المغازي، ص ٥١١.
([2]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ٣١٥ .
([3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ٣١٣ .
([4]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ١٦٢ .
([5]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ٣٥ .

وبنى ولفنسون على هذا الخبر خبراً آخر هو أنَّ النبي ﷺ أمر بقتل كعب الأشرف، لكن هل قتله بعد قينقاع وقبل غزوة أحد أم بعدها؟ وحتى يصح كلامه الذي ذكره في السابق وهو أنَّ النبي ﷺ غضب من بني النضير لأنَّهم لم يشاركوا معه في أحد، مال ولفنسون إلى رواية اليعقوبي التي تقول بذلك، ولم يمل إلى رواية ابن هشام التي تميل إلى أنَّ قتله كان قبل أحد.وليس عنده دليل إلا عقله وتحيّزه، وهو أنَّ النبي ﷺ لا يمكن أن يفعل ذلك لأنَّه كان محتاجاً إلى معاضدتهم يوم أحد، وما ذكره غير صحيح ولا دقيق؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يطلب معونتهم كما بينا وسنبين لاحقا، وكذلك وجدنا المؤلف يميل حيث رياح اليهود تميل، حتى وجدناه أيضا يشكك في سبب قتل كعب بن الأشرف الوارد في كتب السيرة وهو قصيدته في رثاء قتلى المشركين وإيذاء النبي ﷺ بكلامه والتشبب بنساء المسلمين حتى يصل من إنكاره لهذا إلى أنَّ قتله كان بعد أحد، وأنَّ سبب قتله هو انتقام النبي ﷺ من بني النضير بقتل زعيمهم[1].وكان ولفنسون في مواضع كثيرة ينكر بعض الأخبار عن ابن هشام لأنه أخذها عن غير ابن إسحاق أما هنا فانه أغمض الطرف عما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق لأنها تخالف تعصبه لليهود، فالذي قاله ابن إسحاق من سبب قتله هو تحريضه على المسلمين، وإنشاده الشعر؛ محرضا على رسول الله، وذهابه إلى مكة ورثاؤه لقتلى بدر، وليس هذا فقط، فقد وصل إلى درجة دنيئة من الأخلاق حيث لما رجع من مكة إلى المدينة تشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم "فقال رسول ﷺ : ... من لي بابن الأشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله.قال: فافعل إن قدرت على ذلك"[2].

ولذا فإن ما فعله ولفنسون هو أنّه "نفى التهمة عن كعب، وجوز على النبي ﷺ قتل زعيم من زعماء بني النضير لا لشيء غير إعلان الحرب عليهم"[3].

سابعا: طبيعة علاقة المنافقين باليهود: أشار ولفنسون إلى الدور الذي قام به المنافقون -وهم من الخزرج- في تحريض النبي ﷺ ضد اليهود، لكنَّه لم يذكر أدلة على ذلك إلا احتمالات منه، ومن المعلوم عندنا أنَّ جميع غزوات النبي ﷺ كانت بناء على أسباب افتعلها اليهود، ولا دخل للمنافقين في افتعالها، بل وجدنا المنافقين يتخلفون عن بعض الغزوات التي خاضها النبي ﷺ، حتى إنهم لم يشاركوا في غزوة احد، وتركهم النبي ﷺ ولم يقاتلهم، مع أنَّ زعيمهم انسحب

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٤.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية،ج٣،ص ٣٢٣ .

(3) محمد رشيد رضا، محمد رسول الله، ص٢٧٩. ومما يؤخذ على الأستاذ رضا، انه لم يتعقب ولفنسون إلا في موضعين أو ثلاثة، مع أن الكتاب مليء بالأخطاء الشنيعة،مع انه وعد في مقدمته أن يتعقب المستشرقين.كما يؤخذ عليه انه يلقب ولفنسون بالأستاذ، مع إن ولفنسون كان في ذلك المواضع التي لقبه رضا بالأستاذ كان يتهم النبي ﷺ بالتعدي والظلم وغير ذلك من الصفات.

بثلث الجيش، فكيف يقاتل اليهود الذين عاهدوه أن يقاتلوا معه داخل المدينة وليس خارجها؟.

وهناك أمر آخر مهم لا بد من ذكره هنا وهو أن الوقائع أشارت إلى متانة العلاقات بين اليهود والمنافقين، ويكفي موقف عبدالله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين الذي توسط لدى النبي ﷺ وألح عليه إلحاحاً شديداً في أن يعفوا عن بني قينقاع بعد خيانتهم[1].

ثامنا: مدى وفائهم بعهودهم وغدرهم: مع كل النصوص المؤكّدة التي تثبت وقوع الغدر من يهود بني قينقاع وبني النضير وقريظة وغيرهم، إلا أنّ ولفنسون لا يرى ذلك، فمثلا يعلق عما أوردته كتب السيرة من محاولة بني النضير اغتيال النبي ﷺ بأنّه غير مقبول، وشكك فيه تبعاً للمستشرقين؛ بحجة عدم وجود ذكر لهذه الحادثة في سورة الحشر، وأنّه لو صحت لما سلم بها أيضا بحجة أنّ اليهود كانوا قادرين على اغتياله مباشرة دون الحاجة لإلقاء الصخرة عليه[2].

أما حجته بأنّ الحادثة لم تذكر في سورة الحشر، فمن المعلوم أنّ المحور الرئيس في هذه السورة هو الحديث عن غزوة بني النضير، حيث نقضوا العهد مع النبي ﷺ ، وكان ابن عباس يسميها "سورة بني النضير" كما تتحدث عن أمور أخرى تتعلق بالجهاد والمنافقين المحالفين لليهود، والثناء على المهاجرين والأنصار، وغير ذلك من أمور. وعدم ذكر قصة الاغتيال لا يعني عدم ثبوتها، وكم من أحداث حصلت ونقل القرآن طرفا منها، لحكمة معينة، فماذا نقول في غزوة بدر؟ هل نقبل فقط الأحداث التي ذكرها القرآن وننفي ما عداها؟ وهذا يقال في باقي الغزوات التي سجّل القرآن بعض أحداثها.

وقد أثبت ابن هشام محاولتهم اغتيال النبي ﷺ عن ابن إسحاق، وكان ذلك بعد أن طلب مساعدتهم في دية القتيلين من بني عامر، فقالوا له قولاً ليناً، لكنهم كانوا يضمرون الشر والقتل له ﷺ[3]. فكان على ولفنسون أن يأخذ بهذه الرواية إذ أنّ منهجه -كما يدعي- اعتماد ما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق.

وأما قوله: إنّ اليهود كانوا قادرين على اغتياله مباشرة غير دقيق، والدليل ما روي في حادثة الاغتيال . قال ابن هشام عنهم: "فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟"[4].

الفرع الثاني: أسباب عدم وفاء اليهود بوعودهم في الدفاع المشترك عن المدينة:

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، (٣ / ٣١٥).
[2] ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٦.
[3] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ١٤٣ .
[4] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ١٠١ .

أولا: وقوع بعضها في يوم السبت: ذكر المؤلف أن اليهود لم يقبلوا المشاركة في غزوة أحد كما طلب منهم مخيريق ذلك، وذكروا له أنه يمنعهم من ذلك وقوع الغزوة يوم السبت، فقال: لا سبت لكم، ثم ذهب فشارك مع المسلمين حتى قتل، فأثنى عليه النبي ﷺ،فقال عنه: "مخيريق خير اليهود". **وما ذكره** ولفنسون هنا صحيح روته كتب السيرة، ومنهم ابن إسحاق[1]، لكنه استنتج **بعد ذلك أن النبي غضب** من عدم مشاركتهم، واستدل على ذلك بثناء النبي ﷺ على مخيريق، وبالتالي كان هذا سببا من أسباب غزو الرسول ﷺ **لبني** النضير.ثم راح يذكر ما ذكره ابن هشام من أن بعض الصحابة طلب من النبي ﷺ أن يستعين باليهود فرفض، لكنه لم يقبل هذه الرواية كعادته من ابن هشام - **موافقا** للمستشرقين- لأنها لم تكن عن ابن إسحاق، بل نقل من طبقات ابن سعد أيضا رفض النبي ﷺ الاستعانة باليهود، وردها؛ لأنها تخالف ما نقله عن ابن إسحاق، وأيد هذا القول بأن النبي ﷺ أثنى على مخيريق؛ لأنه لم يتخلف عن الغزوة كباقي يهود بني النضير[2].

أما أنه لا يقبل هذا الخبر من ابن هشام لأنه من روايته عن غير ابن إسحاق فهذا غير دقيق بل عزاه لابن إسحاق كما سبق بيانه. **وأما ثناؤه على** مُخَيْرِيق فلأنه أسلم، ولو بقي كافراً لما قبل مشاركته، وقد علق السهيلي **فقال**َ:"قوله ﷺ : "خير يهود" **فقال**:" وَمُخَيْرِيقٌ مسلم ولا يجوز أن يقال في **مسلم**: هو خيرُ النصارى ولا خير اليهود؛ لأن أفْعَلَ مِنْ كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه. فإن قيل:وكيف جاز هذا ؟ قلنا : لأنه قال خير يهود، ولم يقل خير اليهود ، ويهود اسم علم كثمود"[3]. ومما يؤكد كلام السهيلي. ما أسنده ابن شبه إلى ابن شهاب مرسلا قال: **"كانت صدقات رسول** ﷺ **أموالا** لمُخَيْرِيق اليهودي -قال عبد العزيز: بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع- **ثم** رجعَ حديث ابن شهاب قال: وأوصى مُخَيْرِيق بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم، وشهد أحدا فقتل به، فقال رسولُ الله ﷺ: "مُخَيْرِيق سابق اليهود، **وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**"[4]. ووقف مُخَيْرِيق أمواله للنبي ﷺ، فكان هذا أول وقف في الإسلام.

ثانيا:أحياناً يكون القتال خارج المدينة، والمعاهدات التي كانت بينه ﷺ وبين اليهود لم تكن تتضمن جميع اليهود: حيث اعتذر ولفنسون عن يهود بني

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية،ج٣، ص ٥١ .

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٢.

(3) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح غريب السير،بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي،ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،،ج٢، ص٣٧٥.

(4) ابن شبه، عمر بن شبه النميري البصري تاريخ المدينة النبوية، تحقيق : فهيم محمد **شلتوت، دار الفكر، ص ١٧٣** . كما نقل ابن سعد عن الواقدي أيضا قوله: "كان مخيريق أحد بني النضير حبرا عالما،فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم،وجعل ماله له...". **الطبقات الكبرى،ابن سعد، ج١،ص٥٠٢**.

قريظة في عدم مشاركتهم في غزوة أحد، وبرر لهم ذلك بأنّ المعاهدات معهم لا تلزمهم بالقتال مع المسلمين خارج المدينة.

قال ولفنسون: "وعلى كل حال فليس من شك في أنّ النبي قد عقد العقود والعهود مع العرب واليهود بعد حضوره إلى يثرب ، فعلى ذلك أميل إلى الاعتقاد بأنها كانت أكثر من معاهدة واحدة لأننا نجد الرسول يغضب من بني النضير لأنهم لم يشتركوا في يوم أحد في حين أنه لم يطلب من بني قريظة أن يشتركوا معه في حرب المشركين"(¹).

لا شكّ أن غزوة بني النضير وقعت بعد أحد، ولم يكن النبي ﷺ طلب منهم أن يقاتلوا معه في أحد، والراجح أن سبب تلك الغزوة ليس كما ذكر المؤلف، وإنّما بسبب رفضهم دفع دية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية وكان بينهما (وهما من بني عامر) وبينهم حلف، فجاء إليهم يستعين بهم، لكنهم هموا بقتله ﷺ وأرادوا إلقاء صخرة عليه،فانتدبوا لذلك رجلا، لكن الله كشفهم، وأوحى إلى نبيه بأمر يهود، فخرج ﷺ إليهم يريد قتالهم وتأديبهم، وأما يهود بني قريظة فلم يطلب منهم شيئا، ولم يحصل منهم غدر حتى يقاتلهم. وهذا القول منه اضطر إليه، مع أنّ النبي ﷺ لم يطلب من أحد من اليهود أن يقاتل معه لا من بني النضير ولا من بني قريظة، ولكن ولفنسون عندما توصل إلى أنّ قتال النبي ﷺ لبني النضير كان بسبب عدم وفائهم بوعودهم ومشاركتهم معه في القتال ضد المشركين في أحد، أراد أن يدفع عن نفسه اعتراضاً فيما يخص بني قريظة، فبرر أنّ عهدهم مع النبي ﷺ غير عهد بني النضير.

(¹) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين، وبعد:

فقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أذكر أهمها فيما يأتي:

١. المعلومات المتوافرة عن شخصية "ولفنسون" المستشرق اليهودي لا تختلف كثيراً عن بقية المستشرقين اليهود، من حيث صعوبة الوقوف على تراجم لهم، وتمتاز بالتقلب والخفاء بحيث يصعب الجزم بحقيقة شخصياتهم.

٢. فِكر هذا المستشرق في الكتاب شابَهَ فكرَ كثير من المستشرقين اليهود. والجديد في كتابه عن غيره من المستشرقين أنه عرض ما أراده المستشرقون باللغة العربية، وذكر بعض الأمور التي لم يذكروها من قبل.

٣. إنَّ جلَّ ما أورده "ولفنسون" في كتابه وافق عليه أستاذه الدكتور طه حسين، إلا في مواضع نادرة، كان التلميذ يذكر رأي الأستاذ إذا خالف، وتلك المخالفات ليست لصالح الإسلام في شيء، وبالتالي تمثل هذه الرسالة فكر الدكتور طه حسين أيضا؛ فيه ثناء وتمجيد لليهود، وتشويه سيرة النبي ﷺ في التعامل معهم.

٤. اتسم منهج المؤلف بعدم الموضوعية والتعصب الظاهر لليهودية، وظهر ذلك من خلال وصوله إلى نتائج خطيرة دون أدلة، بناها على ما بيّته في ذهنه قبل الكتابة.كإعراضه عن جرائم اليهود وخيانتهم وغدرهم للمسلمين، وعدم اعترافه بالنصوص الصحيحة الظاهرة، لا لشيء إلا لأنها ليست لصالح اليهود.

٥. إنَّ ما ذكره ولفنسون في كتابه عن اثر اليهود في سرعة انتشار الإسلام غير صحيح، ثبت رده وبطلانه بالأدلة الواضحة.

٦. استخدم ولفنسون المنهج المعكوس حيث ذكر العلاقة الطيبة بين اليهود والمسلمين في أول الدعوة وجعل ذلك منقبة لليهود لا للمسلمين أصحاب السيادة في المدينة.

٧. استعان المؤلف بمراجع كافية لتوثيق مادته في السيرة من كتب السنة والسيرة والتاريخ وكتب الأدب وغيرها إلا أنّه لم يحسن التعامل معها .

٨. أكثر ولفنسون من الاستعانة بالمستشرقين في كتابه، وظهر لي أنّه يوافقهم دائماً إذا ذكروا خبراً فيه مدح لليهود، وجلّهم من المستشرقين اليهود.

٩. ظهر لي أنّه تعقب المستشرقين النصارى في أكثر من محل ليس لانتقادهم اليهود؛ وإنّما لأنّه فهم منهم أنَّ النصارى أثّروا في المسلمين.

١٠. لم يلتزم ولفنسون بمنهج التوثيق العلمي دائماً، وخاصةً أنّه ذكر معلومات خطيرة دون أن يعبأ بتوثيقها.

١١. شكك المؤلف في كل ما رواه أو ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق، دون أن يبرز دليلاً واحداً يؤيّد منهجه هذا. ووجدته كثيراً ما يشكك في

النصوص القاطعة من جهة، كما وجدته أيضا ما يستشهد بالأدلة الواهية. فاتسم منهجه بإكثاره من ذكر الاحتمالات المتكلفة التي لا تستند إلى مرجع أو دليل.

١٢. شكك المؤلف في نوايا الأوس والخزرج في دخولهم الإسلام، وجعل ذلك راجعاً إلى أسباب سياسية، والأمور التي استند إليها استنتاجية لا تقوم على دليل واضح أو مقنع، بل تخالف واقع الصحابة وتضحياتهم وإخلاصهم.

١٣. لاحظت من خلال قراءتي لكتاب ولفنسون أنّ اللغة التي كتب بها الرسالة هي لغة الأدباء في أغلبها، وعندما كنت اقرأ هذه الرسالة كنت أظن أنني اقرأ كتاباً من كتب الدكتورطه حسين.

١٤. اتسم منهج المؤلف باجتزاء الأخبار واقتطاعها فيقتصر على ما يؤيد فكرته ويترك ما يصادمها.

١٥. اتهم المؤلف النبي ﷺ بتأثره باليهود ومواقفهم ومنه: عدم مشاركة بني النضير في غزوة أحد، مما جعله يقول فيهم أحاديث ليست في مصلحتهم. كأحاديث يوم السبت، وأحاديث إخراج اليهود من جزيرة العرب، واستند المؤلف في توصله لهذه النتيجة إلى هواه وعقله معرضاً عن النصوص الصحيحة.

١٦. ما ذكره المؤلف عن أسباب الحرب على اليهود أسباب غير موضوعية؛ تنبئ عن مدى تعصب المؤلف ليهوديته، وكرهه للمسلمين، كذكره أنّ سبب الحرب عليهم هو مخالفتهم في الدين، أو للحصول على ممتلكاتهم، أو الثأر منهم، أو لعدم مشاركتهم في غزوات المسلمين.

١٧. إن رسالة ولفنسون تعد من المراجع المهمة في توثيق تاريخ اليهود، ولكن للأسف لم يستند فيها المؤلف إلى أصول البحث العلمي، وبالتالي فإنه يمكن القول إن تاريخ اليهود في كتاب ولفنسون أصابه من التحريف والتزوير ما جعله يفقد قيمته العلمية.

والحمد لله رب العالمين

المراجع:

١. الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية -عمان- الأردن،ط١.
٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد أبو الفضل ورفاقه، مكة، مكتبة النهضة الحديثة،١٣٧٧هـ.
٣. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار"مسند البزار"، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ.
٤. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف البكري، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد ، ط٢، ١٤٢٣هـ .
٥. البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، بيروت- دمشق، دار الفكر المعاصر-دار الفكر،ط١١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٦. البيهقي، أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، مصر، دار الوفاء،١٤١٢هـ.
٧. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري،دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ.
٨. ابن حزم، علي بن أحمد، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم،تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف – مصر،ط١، ١٩٠٠م.
٩. الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
١٠. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (توفي ٩٠٢هـ) ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تعليق صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ط.
١١. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح غريب السير.
١٢. ابن شبه، عمر بن شبه النميري البصري تاريخ المدينة النبوية، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، دار الفكر.
١٣. أبو شعيشع، عبد المنعم صبحي، الاستشراق اليهودي،أسبابه،وأهدافه،وطرق مواجهته،مصر،دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨م.
١٤. ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (توفي ٦٤٣هـ) ، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر،دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦م.
١٥.الطبري،محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر،بيروت،مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
١٧.ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق:سامي بن محمدسلامة، دار طيبة،ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨. محمد رشيد رضا،محمد رسول الله، دار الفكر العربي،١٩٩٨م.
١٩.النملة، علي بن إبراهيم ، أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٧، السنة ٧، ص٥١٩-٥٦٤ .
٢٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،١٣٧٤هـ.
٢١. ابن هشام،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت،ط١،١٤١١هـ،
٢٢. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي،تحقيق: مارسدن جونس، بيروت-عالم الكتب.
٢٣. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،سلطنة عمان،مجلة التسامح، العدد السادس والعشرون،ربيع ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) .
٢٤. ولفنسون،إسرائيل أبو ذؤيب،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،لجنة التأليف والترجمة والنشر،مطبعة الاعتماد، مصر،١٩٢٧م.
***